وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
بالبويرة
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم: العلوم الانسانية
تخصص التاريخ المغرب الوسيط

مذكرة لنيل درجة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط بعنوان:

العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب زمن المرابطين و الموحدين (من القرن 5هـ -القرن 7هـ / القرن 11م- القرن31م)

من إعداد الطالبين :

- حمزة شباطة
- علام عبد اللطيف

إشراف الأستاذة:

- خالصة شراحيل

نوقشت يوم 13- 06 - 2015 من طرف اللجنة :

- السعيد جيلاوي	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة البويرة
- خالصة شراحيل	مشرفة	أستاذة محاضرة	جامعة البويرة
- فاطمة هارون	مناقشة	أستاذة محاضرة	جامعة البويرة

السنة الجامعية: 1435هـ 1436هـ/2014 م-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــداء

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولايطيب النهار إلى بطاعتك .. ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك ..لك الحمد على هذه النعمة.

إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامنا أشواك الطريق... ورسمت المستقبل بخطوط من الأمل والثقة... إلى الذي لا تفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل ....أبي الحبيب

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها وعمرها حبا وتضحيا ودفعا لغدٍ أجمل..إلى حكمتي.....وحلمي ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله إلى من آثروني على أنفسهم إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي.

إلى من ناصفني انجاز هذا العمل... و شاركني طيلة دراستي الجامعية... زميلي و أخي "عبد اللطيف" ... سهرنا معا و سعينا لتقديم الأفضل.

إلى من كانوا ملاذي وملجئي...إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات.... إلى من جعلهم الله أخوتي بالله ..... و من أحببتهم بالله كل أصدقائي و زملائي في الجامعة.

الى كل من ساهم في انجاحي من قريب أو من بعيد.

الطالب: شباطة حمزة

إهـــــــــداء

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة...إلى من تجرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب....

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار.... إلى من علمني العطاء بدون إنتظار.... إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار... إلى الذي لا تفيه الكلمات و الشكر و العرفان بالجميل .. إلى أقرب الناس إلي:والدي العزيز"محمد"...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول إنتظار...و ستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد.

إلى المتربعة على عرش الأياو... إلى من ركع العطاء أمام قدميها ... إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامنا أشواك الطريق وأعطتنا من دمها و روحها و عمرها حبا و حنان.... و رسمت الأمل بخطوط من الأمل و الثقة ... إلأى الغالية التي لا نرى الأمل إلا من عينيها:أمي الحبيبة.

إلى من أرى التفاؤل بأعينهم .. والسعادة في ضحكاتهم..... إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت ، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير..إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم...إخوتي و أخواتي و خاصة "عبد الرحيم " أرجوا أن يحميني و إياكم المولى و يسعدنا.

إلى صديقي و مكملي... زميلي " شباطة حمزة".... الذي كان لي سندا.... وتقاسمنا معترك الصعاب لاتمام هذا العمل.

إلى إخوتي الذين لم تلدهم أمي: الهادي كريريش ... محمد أمين متيجي... و إلى كل الأحباء و الأصدقاء الذين قضيت معهم أسعد أوقاتي.... إلى الذين لا يسع قلمي ذكرهم، فمكانهم في القلب دوما.

الطالب: علام عبد اللطيف.

شـــــكـــــــــر و تقـــــــــــــــــــديـــــر

الحمد لله الذي أنار لنا دربه العلم والمعرفة وأعاننا على انجاز هذا العمل.... وقبل أن نمضي في مثل هذه اللحظات .. نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.. .. و مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.. بجامعة البويرة.... و كلية العلوم الانسانية

" كن عالما .. فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ،فإن لم تستطع فلا تبغضهم

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المحترمة: خالصة شراحيل....التي كانت مشرفة مخلصة وأمينة في إبداء الملاحظات والتوجيهات لإخراج هذه الرسالة على هذا النحو، فجزاها الله عنا كل خير ولها منا كل التقدير والاحترام ، و نقول لها بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

" "إن الحوت في البحر ، والطير في السماء ، ليصلون على معلم الناس "

كما يسعدنا ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأساتذة الموقرين أعضاء لجنة المناقشة لكم منا اسمى تعابير الامتنان والتقدير لاخلاصكم ...لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة

إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات، ربما دون أن يشعروا بدورهم بذلك فلهم منا كل الشكر، من عمال في المكتبة و مساعدين و إداريين... الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا.

وكذلك نشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لنا العون ومد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب بين القرن الخامس إلى السابع من الهجرة فترة مزدهرة، ونشأت على أرضه أضخم دولتين عرفتهما المنطقة خلال تاريخه الوسيط، فبعد أن كانت دويلات متفرقة أصبحت دولة وطيدة الأركان، تولى مقاليد أمورها المرابطون الذين وحدوا أقطارها، و بسطوا نفوذهم في أنحائها، و على خطاهم سار حكام الموحدين، فواصلوا مسيرة التقدم في البلاد، فكان للدولة وزنها و تأثيرها وتوسعت علاقاتها السياسية و الاقتصادية و الثقافية مع مختلف الأقطار من بلاد الأندلس و بلاد المشرق الإسلامي و أوروبا المسيحية.

ولاشك أن التطور السياسي و العسكري في هذه الفترة انعكس إيجابا على الجانب الثقافي و الحضاري فدبت الحركة الفكرية و المبادلات العلمية بين بلاد المغرب و المشرق، و ظهر شعب متجانس قوي أخذ بأسباب التقدم و الرقي.

و من هنا كان موضوع دراستنا يركز على العلاقات الثقافية بين المغرب و المشرق زمن المرابطين و الموحدين في الفترة الممتدة ما بين 448هـ-668هـ/ 1056م- 1269م. فقيام الدولتين ساهم في إرساء التمازج الثقافي و دعم التقدم العلمي و الحضاري.

أما إشكالية البحث فتتمحور حول ماهية العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب في زمن المرابطين و الموحدين.

و تعنى دراستنا بإبراز عدة جوانب أهمها:

– كيف كانت الحياة الثقافية في الدولتين المرابطية والموحدية ؟

– ماهي العوامل المساعدة على تنمية العلاقات الثقافية بينهما ؟

– ماهي أبرز مظاهر العلاقات الثقافية و أهم العلوم و العلماء بين المشرق والمغرب ؟

إن المادة المصدرية هي أساس كل دراسة علمية، لذا حاولنا الاستفادة قدر المستطاع من مختلف المصادر الأدبية و الفقهية، المعجمية، التاريخية، و الجغرافية مع صياغة معارفها في قوالب منهجية و تركيبية تتماشى مع مجريات أحداث الموضوع، ما مكننا من بناء الإشكالية المطروحة و من أهمها:

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع (ت726هـ/ 1326م) حيث أفادنا هذا الكتاب في مواضع مختلفة حول المظاهر الثقافية و الحضارية في بلاد المغرب مع ذكر الأحداث من انطلاقة المرابطين من جنوب الصحراء حتى سقوط مراكش على يد الموحدين.

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب بأجزائه الخمسة لابن عذارى المراكشي كان حيا سنة (712هـ/1112م)، و هو من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب و الأندلس و بالأخص ذكره لدولة المرابطين حيث يعتمد فيه على مصادر بعضها مفقود، بالإضافة إلى لجوئه إلى شيوخ موثوق بهم ممن عاصروا الأحداث، أما الجزء الخامس منه المعروف باسم البيان المغرب القسم الموحدي فقد أفادنا لما يتناوله من أحداث المرحلة الأخيرة من أيام المرابطين و أثر ذلك على الحياة الثقافية و العلاقات العلمية و العملية مع الأقطار الأخرى.

كتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت578هـ/ 1183م) الذي جمع فيه تراجم لأعيان المرابطين و الأندلس، كما ركز اهتمامه على أصحاب الرحلات في طلب الفقه و الحديث من أهل المغرب.

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (621هـ/1183م) و هو من أهم المصادر كون المؤلف عاصر الكثير من الأحداث المذكورة في بحثنا المتعلقة بأخبار المغرب الإسلامي و سير بعض ملوكه.

كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب و هو مؤلف هام يحوي تراجم للعديد من العلماء بالإضافة إلى بعض سلاطين المرابطين مع ذكر عاداتهم و علاقاتهم بالأندلس و بلاد المشرق.

كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1624م) و الذي ترجم فيه لحوالي ثمان مائة و ثلاثين عالم و فقيه مالكي.

كتاب وصف المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس للادريسي (560هـ/1164م) و هو من أهم المصادر الجغرافية حيث عاصر الكاتب فترة الدراسة، مبرزا فيه العوامل الطبيعية و الجوانب الاجتماعية التي ساهمت في تناقل الثقافات و سهلت التواصل بين بلدان المشرق و المغرب.

ومن المراجع التي استفدنا منها نذكر كتاب المغرب العربي في العصر الإسلامي لمحمد حسن العبدروس الذي يلم بالثقافة التي كانت سائدة زمن المرابطين والموحدين، وكذلك أشياخ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لاسماعيل محمود، و كتاب النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين لحركات ابراهيم، فقد أفادنا في ذكر السياسة المتبعة في عهد المرابطين وغيرها من المراجع الأخرى المعتمدة.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي لأهميته في نقل الأحداث مع احترام التسلسل الزمني، و كذا المنهج الاستقرائي و السردي القائم على قراءة النصوص و تتبعها في ما يتعلق بالفترة المدروسة و ما ميزها من مظاهر علمية و ثقافية، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي لنعت مظاهر الحياة الثقافية و الحضارية و نوع العلاقات و ذكر الأماكن خلال فترة البحث، بالإضافة إلى المنهج التحليلي فهو للتعقيب و مناقشة بعض القضايا الواردة في الدراسة مع نقدها خاصة فيما يتعلق بأحكام الغربيين المستشرقين في حق المرابطين و إجحافهم في نقل الحقائق و الرد عليهم و نفي مزاعمهم، و ذلك بمقارنة الأحداث و الأوضاع في عصر المرابطين و الموحدين مع ما عايشته المستعمرات الصليبية في إفريقيا و بلاد المشرق و الانتهاكات و العنصرية التي انتهجتها دول الغرب اتجاه المسلمين و الديانات الأخرى.

وللإجابة على تساؤلات الموضوع، اعتمدنا الخطة التالية: مقدمة، أربعة فصول وخاتمة.

فالمقدمة هي تعريف بالموضوع و أسباب اختياره و إشكالية الدراسة مع ذكر أهم المصادر و المراجع، إبراز الخطة و توضيح الصعوبات التي واجهتنا.

أما الفصل الأول فتطرقنا فيه إلى قيام الدولة المرابطية والحياة الحضارية التي كانت سائدة آنذاك، والعلاقة الثقافية بين المشرق والمغرب حينها، مع إبراز أثر الاحتكاك بين الثقافتين على المجتمع.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه قيام الدولة الموحدية و الحياة الثقافية التي تميزت بها هذه الفترة, وأهم العلماء, و نتائج العلاقة الثقافية بين المشرق و المغرب.

و في الفصل الثالث تناولنا التبادل الثقافي، وأثر الرحلات المغربية إلى المشرق ودور العلماء المشارقة والمغاربة في توطيد العلاقات بين أقطار المنطقتين، و مختلف العوامل المساعدة على التبادل الثقافي وتمتين هذه العلاقات، فأبرزنا أهم الرحلات ودورها في تنمية الحياة العلمية بين المشرق والمغرب.

ثم خصصنا الفصل الرابع لذكر أهم العلوم النقلية(الدينية) والعقلية في المشرق والمغرب ودورها في إنماء الحياة الثقافية.

و في الأخير ، خاتمة أجبنا فيها على التساؤلات والمطروحة، وهي عبارة عن استنتاجات خرجنا بها خلال البحث.

وقد واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء البحث أهمها قلة المصادر والمراجع لفقر المكتبة الجامعية لها، مما اضطرنا للتنقل إلى مكتبات أخرى للبحث عن مصدر المعلومات، إضافة إلى ضيق الوقت والذي انعكس سلبا على البحث وعدم التوسع في جمع المعلومات لما تتطلبه المواضيع الثقافية من تعدد في مجالات البحث التي تشمل العديد من التخصصات منها الدينية والأدبية والعلمية، وكذلك طبيعة المصطلحات والنصوص التي تحويها المصادر و لغة الكتب الأدبية الصعبة، والتشابه الكبير في أسماء الأعلام.

الفصل الأول

العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب إبان الدولة المرابطية

المبحث الأول

قيام الدولة المرابطية

المبحث الثاني

الحياة الثقافية المرابطية

المبحث الثالث

العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب زمن المرابطين

الفصــل الأول: العلاقــة الثقافيــة بيــن المشــرق والمغـرب إبــان دولــة المرابطيــن

المبحــث الأول: قيــام دولــة المرابطيــن

لقد قامت دولة المرابطين في القرن الخامس للهجرة الموافق للسنة الحادية عشر من الميلاد، وكان قيامها على أساس ديني وإصلاحي، وانطلقت من جبل لمتونة، وشملت كلا من إمبراطورية غانا وضفاف نهر السنغال، واستولت على المغرب الأقصى والجزء الغربي للمغرب الأوسط، وجزء من شبه جزيرة إيبيريا[1]، ولقد تعددت الروايات حول أصل المرابطين وحقيقة تسميتهم، فهناك من يذكر أنهم قبائل من العرب ينسبون إلى حمير [2]،انظر الملحق رقم (01)، ومن أشهر هذه القبائل لمتونة[3]، جدالة[4] ولمطة. انظر الملحق رقم (02).

في حين ذكر آخرون أنهم رحلوا من مصر إلى بلاد المغرب مع الفاتح موسى بن نصير ووصلوا طنجة [5] ، رفقة طارق ب ن زياد، لكنهم أحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء بالمغرب الأقصى، واختاروها كموطن لهم[6]، غير أن هناك من اعتبرهم بربرا[7].

وترجع حقيقة تسميتهم بالمرابطين حسب بعض المؤرخين إلى أنه في سنة (448هـ/1056م)، حدث بينهم انبعاث ديني، وانبثق فيهم من يدعوا إلى الجهاد في سبيل

---

[1] ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، تصحيح محمود يوسف الدقاقدار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998، مج 5، ط 3، ص 372.

[2] – زين الدين بن عمر بن مظفر بن الوردي، **تاريخ من الوردي**، ، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1996م، ج1، ط 1، ص 344.

– أحمد خالد الناصري اليلاوي، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الدار البيضاء، 2001، ج2، ص 159.

[3] لمتونة من بطون صنهاجة و أهلها رحُّلٌ في الصحراء، أنظر أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، المطبعة الحكومية، الجزائر،1957 ص 164.

[4] أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب(جزء من كتاب المسالك و الممالك)، مكتبة المثنى ببغداد، دون تاريخ الطبعة، ص164.

[5] – طنجة من مدن المغرب تقع في ساحل البحر وتبعد عن سبتة بثلاثين ميلا ويقال لها طنجة البربرية أنظر – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 385 – 396.

[6] ابن الوردي زين الدين عمر، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 هـ، 1996م، ج1، ط1، ص 345.

[7] إبراهيم القادري بوتشين، **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، أفريل 1993، ص 8.

الله ولزومهم الأرابطة [1]، ويذكر آخرون إلى أنه يرجع إلى الانتصار الذي كان حليفا لمتونة بإحدى معاركها، حيث أبدى فيها المرابطون صبرا شديدا [2]، وأرجعها بعضهم على انتصارهم على قبيلة رغواطة [3] سنة (450هـ/1058م)، وسموا أيضا بالملثمين لأنهم كانونا يضعون لثاما، على وجوههم [4]، ولقد شكلت مرحلة هامة من تاريخ منطقة المغرب الذي أضاف إليه المرابطون أجزاء هامة من غرب إفريقيا بعد فتحهم لها وترسيخ الإسلام بين شعوبها، وتدارك المرابطون جزء من الغرب الإسلامي من السقوط في أيدي أعداء الإسلام وأجلوا ذلك السقوط قرونا بعد أن أوشك أن تحدث قبيل تدخلهم، ووحدوا بلاد المغرب الأقصى وجزاء من المغرب الأوسط في ظل سلطة موحدة مذهبيا وسياسيا بعد أن كانت المنطقة موزعة بين الإمارات القبلية والنحل البدعية حيث دب خلاف بين هذه القبائل الصنهاجية يعد وفاة قائدهم، ثم جاء بعده محمد بن تيغات اللمتوني فأعاد تكوين الحلف الذي كان قائما بين هذه القبائل، ثم جاء بعده بن إبراهيم الجدالي[5]، الذي أصبحت له زعامة المغاربة الملثمين.

ولقد كانت تحدوه نزعة إصلاحية فطلب من شيخ الفقهاء القيروانيين أن يبعث أحد تلامذته ليفقه الملثمين في الدين فتم انتداب عبد الله بن ياسين الجزولي [6] لهذه المهمة فكانت له الزعامة الدينية وليحي بن إبراهيم الزعامة الدنيوية [7] في البداية، ولقد كان عبد الله بن ياسين يأمر الملثمين بالجهاد في سبيل الله وتوحيد قبائل صنهاجة، فانتصروا على جدالة

[1] ابن أبي زرع علي بن عبد الله بن محمد، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972، ص 77.

[2] – ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج3، ط3، ص12.

[3] – برغواطة: عبارة عن مجموعة من القبائل المغربية اتبعت طريق أبو صبيح الذي سن لهم شرائع غريبة وتولى الأمر بعده ابن صالح الذي شرع لهم الديانة التي اتبعوها من بعده، وتم القضاء عليه في عصر المرابطين. انظر عبد الرحمان بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971، ج6، ص 207.

[4] – أبو القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمد مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 210.

[5] – حسن لأحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957، ص 68.

[6] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 75–77.

[7] – أبو الخطاب ابن محمد بن دحية الكلبي، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، مراجعة طه حسين، دار العلم للملايين، القاهرة، 1955، ص 183.

سنة (434هـ/1042م)، ثم واصلوا سيرهم نحو لمتونة ومسوفة التي دخلت تحت ولائهم، مما دفع بباقي القبائل إلى الانضمام والطواعية والاستجابة[1].

وعندما توفى يحي بن إبراهيم سنة (440هـ/1048م)، تولى الأمور من بعده يحي بن عمر اللمتوني فتوجهوا إلى سلجماسة [2]، حيث تمكنوا من قتل قائدها ودخول درعة [3]، وعندما توفي سنة (447هـ/1055م)، تم اختيار أخيه أبو بكر بن عمر خلفا له سنة (448هـ/1056م)، فجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين قائدا للجيش، فتقدم نحو بلاد السوس، وأظهر من الحنكة والشجاعة ما مكنه من إخضاع تارودانت [4]، وجزولة [5]، وماسة [6]، كما استولى على أغمات سنة (449هـ/1057م)، وجعلها عاصمة لهم، ثم توجه المرابطون إلى برغواطة، وبإحدى المعارك توفي عبد الله بن ياسين (451هـ/1059م)، وتولى بعده أبو بكر بن عمر القيادتين الروحية والعسكرية للمرابطين، وفي سنة 452(هـ/1060م)، استولى المرابطون على دولة لواتة، ثم قرر أبو بكر بن عمر الرحيل على الصحراء إثر الخلاف الذي نشب بين لمتونة ومسونة، وترك يوسف بن تاشفين على المغرب[7].

ولقد تمكن يوسف بن تاشفين من إحكام السيطرة على السلطة، وبعد عودة أبي بكر بن عمر إلى المغرب وجده قد احكم سلطته على أمور الدولة المرابطية [8]، فما كان منه إلا أن تخلى له عن القيادة وعاد إلى الصحراء، فقام يوسف بن تاشفين باختيار مدينة مراكش

---

[1] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 77.

[2] سلجماسة: تقع في صحراء المغرب، تسكنها قبيلة لمتونة، بنيت سنة 140هـ على يد مدارر بن عبد الله، انظر الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي: **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980، ص 305.

[3] – الحميري، المصدر السابق، ص 235.

[4] – أبو عبيد الله الشريف الأدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 133.

[5] – ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 203.

[6] – الحميري، المصدر السابق، ص 522.

[7] – عباس نصر الله سعدون ، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص 112.

[8] – الصلابي علي محمد محمد، **فقه التمكن عند دولة المرابطين**، دار البيقان، عمان الأردن، 1971م، ص 294.

لتأسيس عاصمة الدولة المرابطية الجديدة[1]، ثم واصل توسعاته ببلاد المغرب حيث دخل فاس صلحا سنة (455هـ/1063م=، وبلاد ورغة، وبلاد غمارة سنة (460هـ/1067م).

وفي تلك الأثناء تم استرداد مدينة فاس من المرابطين فاضطر يوسف بن تاشفين إلى ترك جيش يحاصر قلعة فازاز التي تم دخولها بالقوة سنة (407هـ/1084م)، بمساعدة المعتم بن عباد [2]، وبعد خضوع هذه المناطق اتجهت أنظارهم ناحية الشرق لانشغال الحماديين بمقاومة العرب الهلالية، فقام يوسف بن تاشفين بتوجيه حملة نحو المغرب الأوسط سنة (472هـ/1079م)، فتمكن من دخول مدينة تلمسان سنة (473هـ/1080م)، ومدينة مليلية، وبلاد الريف فضلا عن جبال الونشريس ووهران وتنس، ومدينة الجزائر [3]، أما القبائل الأخرى الأخرى فاستسلمت دون قتال[4].

وفي الوقت الذي عرفت فيه الدولة المرابطية أوج قوتها وتوسعها بالمغرب الأقصى و المغرب الأوسط كانت بلاد الأندلس تعيش في تمزق وعدائية، حيث بعد سقوط الدولة الأموية استقل كأمير بولايته فتكونت بذلك عدة دويلات تسودها علاقات عدائية مما أدى إلى نشوب الحروب بينها، وفي ظل هذه الظروف كان المستفيد الأول النصارى الذين استنجد بهم ملوك الطوائف ضد بعضهم[5].

أما ملك قشتالة " ألفونسو" فقد احكم ضغوطه على ملوك الطوائف بالأندلس، فأدوا الضرائب مقابل الصلح، والمعتمد هو الآخر دفع له أيضا مما انعكس على سكان الأندلس،

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 294.

[2] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984م، ط2، ص 161-162.

[3] الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بو عزيز، ج1، ط1، لبنان، 1990م، ص 134.

[4] بوتشين إبراهيم القادري، **إسهامات في التاريخ الاقتصادي الاجتماعي لمدينة مكناس**، تقديم محمد المنوني، منشورات عمادة، جامعة مولاي إسماعيل، مطبعة الفضالة، المحمدية، المغرب 1997م، ص 19.

[5] فؤاد محمد أرزقي، **القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن الخمس هجري، الموافق للحادي عشر ميلادي**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د-ت-ط- ص 33.

ففرضت عليهم الضرائب التي أثقلت كاهلهم، ناهيك عن حياة البذخ والترف والمجون التي كان يعيشها ملوك الطوائف في ذلك الوقت [1]، وتمكن من الاستيلاء على طليطلة [2]، وبلنسية ليتوجه بعدها إلى المعتمد الأكبر لملوك الطوائف فهدده بالاستيلاء على قرطبة إن لم يسلم له الحصون وفي ظل الحصار وزيادة أطماع النصارى في الاستيلاء على الطوائف الأخرى، رأى فقهاء الأندلس الاستنجاد بالعرب الهلالية، لكنهم آثروا الاستنجاد بالمرابطين خوفا من بطش العرب وأن يخربوا بلادهم.

وكتب المعتمد بن عباد ملك إشبيلية إلى يوسف بن تاشفين عارضا عليه الجهاد ونصر البلاد إلا أن هذا الأخير أجابه بضرورة دخول سبتة، فما كان عليه إلا أن عرض مساعدته لحصارها فدخلها المرابطون سنة (477هـ/1084م) [3]، وبعدها منح المعتمد ليوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء، فقرر هذا الأخير العبور إلى الأندلس ليستقر الأمراء ويدعوهم لمحاربة النصارى[4]، فانضمت إليه القوات الأندلسية ومنها جيش المعتمد، جيش المتوكل بن الأفطس، وبن صادح وسار يوسف بن تاشفين بجيوشه نحو بطليموس [5]، والتقى جيوش ألفونسو ودارت بينهما معركة الزلاقة [6](479هـ/1086م)، حقق فيها المرابطون النصر [7]، وخلال تواجد ابن تشافين بالأندلس اطلع على حالة الانقسام الذي تعانيه، مما اضطره إلى

[1] سلامة محمد سلمان الهرفي، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 44.

[2] طليطلة: تتوسط قرطبة و بلنسية و المرية، وتعرف بحصانتها، انظر الميري، المصدر السابق، ص 393.

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 162.

[4] مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل ذكار وعبد القادر زماطة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 38- 52.

[5] بطليموس: تقع على ضفة نهر بانة وتبعد عن إشبيلية بستة أيام، انظر الإدريسي أبو عبيد الله الشريف، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** من كتاب نزهة المشتاق، ص 268.

[6] الزلاقة: تقع غرب الأندلس بإقليم بطليموس، الإدريسي، المصدر السابق، ص 260.

[7] بن أبي زرع، المصدر السابق، ص 95، 96.

العودة إلى الأندلس[1] مجاهدا سنة (481هـ/1088م)، وسنة(483هـ/1090م)، وأخيرا تأكد له أنه لا مناص من عزل ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس داخليا مع المغرب.[2]

وما دفعه إلى هذه الإستراتيجية:

- إساءة ملوك الطوائف في معاملاتهم للرعية، وما يفرضونه عليهم من ضرائب ومكوس ومغارم كثيرة، وتنامي شكاوى الناس والفقهاء، فطلب من الملوك الرفق غير أنهم خيبوا.
- استمرار الخلافات بين ملوك الطوائف والمكائد لبعضهم وخيانتهم بدفع الجزية لألفونسو.
- طلبه منهم بدعوتهم إلى الجهاد سنة 481هـ وعدم استجابتهم باستثناء ملك مرسية عبد العزيز.

[1] إبراهيم القادري بوتشين، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع الذهنيات، الأولياء)**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، أبريل، 1993م، ص 8.

[2] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص96

المبحث الثاني: الحياة الثقافية المرابطية

استطاع المرابطون في المغرب أن يحققوا ازدهارا حضاريا وعمرانيا ملحوظا، لاسيما في مجال العلوم الدينية والإنسانية وكذا تحقيق الاتزان الاقتصادي ما سمح بتقدم الحياة الثقافية على العموم، رغم ما شهده عصرهم من اضطراب وقلق على الصعيدين السياسي والاقتصادي العسكري.

واستنادا إلى ما ورود بالمصادر المغربية خاصة والمشرقية عامة، منها **كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني** المتوفى سنة 542هـ وكتاب **بغية الملتمس لأحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضي** المتوفى سنة 599هـ[1]، **وقلائد العقيان في محاسن الأعيان لأبي النصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان** المتوفى سنة 529هـ وكذا:

- **كتاب الحلة السيراء والتكملة لكتاب الصلة لابن عبد الله محمد بن عبد الله أبو بكر القضاعي** المتوفى سنة 658هـ[2]..
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك لأبي الفضل عياض بن موسى** المتوفى سنة 544هـ.
- **رقم الحلل في نظم الدول والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله الخطيب** المتوفى سنة 779هـ[3].
- **بغية الملتمس لأحمد بن يحي بن عميرة الغي** المتوفى سنة 599هـ.

[1] أحمد بن يحي بن عميرة الضي، **بغية الملتمس**، تصحيح وتحقيق محمد بن تادنيت الطنجي، نشر السيد عزة العطار، القاهرة، 1952

[2] لابن عبد الله محمد بن عبد الله أبو بكر القضاعي ، **الحلة السيراء والتكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق ليغي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956.

[3] محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله الخطيب ، **الحلل في نظم الدول والإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، مجلدان، 4 أجزاء، 1979

-كتاب الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي العميري ابن فرحون المتوفى سنة 799هـ[1].

كل هذه المصادر المذكورة وغيرها كثير، قد بينت دور المرابطين على الصعيدين العلمي و الثقافي، حيث تحتفظ بمجموعات وافرة ومعلومات زاخرة وأثرية وروايات شاهدة على أخبار منقولة حول العصر وآدابه وعلمائه ومثقفيه، مع الترجمة لهم والتعريف بهم وآثارهم الأدبية والعلمية والثقافية.

وما ميز عصر المرابطين هو فسيفساء من التداخلات والمؤثرات الثقافية من المشرق والمغرب والأندلس فانصهرت كلها في حضارة إسلامية هجينة، وألف بذلك المرابطون حلقة مهمة للتواصل الحضاري اعتمدها الموحدون مرجعا فيما بعد.

فعمد حكام المرابطين على تشجيع التبادل الثقافي بين دول المغرب والمشرق والأندلس لتطوير الثقافة، فاتسعت بذلك المعارف وتنوعت العلوم وازدهرت وتنوع بذلك العلماء فكانت زاخرة بالمصادر والمراجع من شتى الأوطان، فبرعوا وتخصصوا في مجال الفقه والعلم من لغة ونحو وتفسير وتاريخ وفلسفة وحساب وغيرها.

وبحداثة مستجدات العصر عند المرابطين فقد كان للطابع الديني مكانة خاصة لأن طابع الدولة كان دينيا، فاهتم العلماء بعلوم القرآن والتفسير والفقه والرواية وأصول الدين والحديث و البلاغة وغيرها، وقد عرف عن علماء عصرهم بـ: **العالم أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمان المعروف بابن أبي قنون وأصله من تلمسان،** [2] **درس الفقه المالكي بها، وتولى القضاء بها، ويعد من أهم علماء العلوم الدينية، وله كتاب في أصول الفقه " المقتضب الأشفى في اختصار المستصطفى" وتوفي في تلمسان سنة 557هـ.**

[1] حققه أبو النور محمد المحمدي، دار التراث، القاهرة، 1972.

[2] ابن القطان الفاسي، **أحكام النظر بحاسة البصر**، تحقيق إدريس الصمدي، تقديم، فاروق حمادة، الشركة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص 123.

وممن نبغ في الحديث من الأندلس ثم رحل إل المغرب، واستقر بفاس ثم انتقل إلى تلمسان، أين استقر وتوفي سنة 524هـ، هو **ابن غزلون محمد بن عبد الله.**

وكذلك من تفقه في الدين وحفظ من الحديث، الفقيه والمحدث **أبو محمد عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون التلمساني الأصل،** الذي توفي بها سنة 534هـ، والفقيه الكاتب **أبو محمد الأشيري** [1]، سمي بذلك نسبة إلى مدينة أشير زيري بن مناد، حيث كان كاتبا لبعض حكام الدولة المرابطية، وقد توفي سنة 561هـ.

وأهم ما تناقله المرابطون من المشرق، علم القراءات وهو من العلوم الدينية وهو أولى المراحل لتفسير القرآن الكريم وقد ألفه العلماء المشارقة في مصنفات عديدة وسمي بالعلم الغزير، وانتقل إلى بلاد المغرب الأوسط في أواخر المائة الرابعة وكانت قراءة **نافع بن نعيم** [2] **(ن 169هـ)**، مرجع القراءات، ونخص بالذكر لأشهر علماء علم القراءات المغاربة:

1- **الحافظ أبو عمر الداني (ت 444هـ)**، وكتب " التيسير في القراءات السبع"، و "جمع البيان" ، وقد اختص بمكانة عالية بالمشرق.

2- أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي (ت 429هـ) كتب " الروضة".

أما أشهر علماء الدين الذين بزغوا نذكر: **أبو القاسم خلف بن أبي القاسم البرذاعي من أصحاب أبي زيد القيرواني** ، ألف اختصار الواضحة وكتاب التمهيد لمسائل المدونة وعرف واشتهر بكتاب " التهذيب في اختصار المدونة" توفي أوائل القرن الخامس.

[1] المراكشي ابن عبد الملك، محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، الجزء الأول، القسم الثاني، دار الثقافة، لبنان، بدون تاريخ، ص 127.

[2] ابن الجزري، الحافظ ابن الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشرة**، مراجعة علي محمد الصياغ، ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ، ص 35.

وأبو جعفر أحمد بن نصر التلمساني الداودي، وأصله من المسيلة، رحل إلى المشرق وعاد إلى المغرب مستقرا بتلمسان وأهم مؤلفاته: " كتاب الواعي في الفقه" و " شرح الموطأ" و " الإيضاح في الرد على القدرية "، توفي سنة 402هـ.

وأبو عمران الفاسي الذي رحل إلى المشرق وعاد إلى المغرب ثم ذهب إلى الأندلس ليعود مستقرا بالمغرب، يعد من أشهر علماء المرابطين و معلمي الأجيال بعده، فبصماته خالدة في دولة المرابطين، كان فقيها ومحدثا تخرج على يديه أشهر مؤسسي الدولة المرابطية، وتوفي سنة 430هـ.

أما علماء المغرب الذين نقلوا علومهم وتركوا بصماتهم في بلاد المشرق نخص بالذكر: **أبو الحسن اللخمي المغربي (ت 478هـ)**، صاحب كتاب " التبصرة على المدونة "[1]، تخرج على يديه الإمام **المازري محمد ين علي بن عمر،** ومن أهم مصنفاته كتاب إيضاح المحصول في برهان الأصول، بشرح فيه كتاب البرهان للجوثي، كما له المعلم في شروح مسلم يشرح فيه صحيح مسلم.

وأعظم علماء عصره **يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم البسكري** الذي نبغ في علم القراءات واشتهر و أبدع فيها فاعتلى عرش القراء من معاصريه، فاستدعاه نظام الملك سنة 458هـ، وعيّن للتدريس وخلّف جيلا ذهبيا من تلامذته في نيسابور، أشهر كتبه " الكامل في القراءات"[2]، توفي بنيسابور عام 465هـ.

ومن أشهر الفقهاء المحدثين نجد **أبو الحسن الغساني** الذي ألف عدة كتب أهمها: " التصنيع في تأصيل مسائل التفريغ" و " الوسيلة لإصابة المعنى في شرح أسماء الله الحسنى" و : نهج المسالك للتفقه في مذهب مالك"، وغيرها.

---

[1] عياض أبو الفضل عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، دار الحياة، بيروت، لبنان، .، 1967م، ص 170.

[2] الجيلاني عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 123.

أما في التفسير لكتاب الله الجليل بطريقة علمية وأدبية بالمغرب فنجد **عبد الحق بن عطية (ت 542هـ)**، الذي اتبع في تفاسيره على مصادر ومراجع الأشاعرة، في حين اتبع **أبو الفضل عياض موسى** منهج المالكية في تدوينه، وقد ولي قاضيا بغرناطة سنة 532هـ ثم استقر بسبتة ورحل إلى مراكش أين توفي سنة 544هـ، وأشهر مؤلفاته ومخلفاته " الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى" و " مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم" و " الإعمال" وهو شارح لصحيح مسلم[1].

لم تقتصر علوم المغاربة على فهم القرآن والدين بأصوله وفصوله وجل علومه، فقد برز المغاربة في الأدب واللغة والشعر وأقبلوا على دراسة اللغة وعلومها وفروعها وبرزت قيمة الرقي ورفعة المستوى في الأدب فأصبحت لا تقل شأنا عن نظيرتها بالمشرق وتجلى ذلك في تحية الصالحين من الأدباء واللغويين والنحاة والخطباء وحفظة الكتب الأدبية والشعراء وعلماء البلاغة، فعملوا على تطوير اللغة وإثرائها، ونشر علومها ومعارفها في أرجاء البلاد.

إن ميزة الأدب المغربي تتجلى في ما رافقه من أوضاع اجتماعية وسياسية و أذواق مغربية خالصة خلفت نماذج قيمة لم تندثر باندثار أصحابها وأعلامها، ونخص بالذكر **أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف النحوي** [2]، الذي تنقل بين البلدان المغربية وقصد المشرق ثم استقر بقلعة بني حماد مكرسا حياته للتعليم والتأليف، وتوفي بها سنة 513هـ، وقد امتازت أشعاره بالزهد والجزالة وخفة الوصف ونذكر أشهر ما ألفه قصيدة " **المنفرجة** "[3].

وأيضا **ابن محرز محمد بن محمد الوهراني** [4]، الأصل وهو من أواخر المرابطين، انتقل إلى صقلية ثم الشام والعراق ومصر، من أشهر ما ألفه: " **المنامات** " سالكا في كتابه ومتبعا

---

[1] أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، دار الحياة، بيروت لبنان، 1967، ص 42.

[2] نفسه، ص 43.

[3] محمد عبد الكريم المغليلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968، ص 25.

[4] عبد العزيز الوهراني، **منامات الوهراني**، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968، مجلة الثقافة، العدد24، ص ص 63–66.

نهج ابن الشهيد في رسالة التوابع والزوابع فأجاد المقاومة وامتاز في خصائص النثر الفريدة التي قلما توجد، فعبر عن نفسه بذكاء، توفي الوهراني سنة 575هـ.

ومن أشهر علماء اللغة والأدب نذكر **محمد بن سليمان الكلاغي** المكنى **بابن القصيرة**، اعتبر سفيرا معتمدا لدى يوسف بن تاشفين[1]، تولى الكتابة له ثم لابنه علي بن يوسف.

كذلك نذكر عالم اللغة البارز **عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي** [2]، برز في النحو وعلوم اللغة فكان حافظا ومحاججا موثوقا له، من أهم مؤلفاته " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" و"الحلل في شرح أبيات الجمل" و " شرح الموطأ" و " النبيه على الأسباب الموجهة لاختلاف الأمة ".

وعالم اللغة **أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله** الذي برع في الأدب واللغات، فكان ينظم الشعر في ظل بني حماد، ومن مؤلفاته: " التوطئة في العربية " و كتاب " الفوائد والفرائد " و " شرح الفصيح" توفي سنة 555هـ بفاس[3].

كلما اتسعت معرفة الدولة اتسع رقيها، وزادت حصانتها وكذلك كان نهج المرابطين في طريق التفتح وطلب العلم، فكانت فروع العلوم تفتح باب تلو الآخر ليسعى كل في دربه ويخط التاريخ بأحرف من عظمة ويبقى منهجا ومرجعا يحتذي بحذوه من بعده.

والعلوم الإنسانية تناقلت بين الأجيال على مر العصور فكان علم التاريخ من أولويات كل عصر واحتلت المؤلفات والكتب والتاريخ نسبة عالية في مكتبات المشرق والمغرب، فكان مزج الحضارات وتوارث العلوم وتناقل الخبرات من أهداف الإنسان لتحقيق أفضل الأحوال،

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان القضائي البلنسي، **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1956، ص ص 143- 145.

[2] ابن القطان، **نظم الجمان في أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 50.

[3] ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان**، ج2، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، ص 222.

فكل جيل يمهد لثورة إنسانية بشتى مجالاتها للذي يليه وبذلك يتحقق الأمن ويتحرر الإنسان من قيود الجهل.

ومن أهم أعظم ما قيل في التاريخ **لابن خلدون** الذي وصف تاريخه: " **تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر**"[1]، فيتضح لنا أن التاريخ ما هو إلا نقل لكل الحقائق عن الكيان الإنساني مع شهادات و دلائل صادقة تنقل قيمة وعظمة خبرها، فكل ما يكتب وينقل ويسمع بطريقة سليمة يسمى تاريخا، وجاهد المؤرخون على حفظ مصداقية مقولاتهم عبر الأجيال.

وتميز تاريخ المغاربة بالخصوصية، فأعظم تاريخ هو نقل الأحاديث وكتابة الفقه وتتبع الفقهاء والعلماء من الدين ورجال العلم والأدب، وخط سيرتهم، فكان الفقيه محدثا ومؤرخا في بلاد المغرب، فينقل أحداث فترة من الزمن بإيجابياتها و سلبياتها من نكسات وهزائم عبر العصور.

كل هذا ويبقى التاريخ المغربي ينسب إليه التخلف وعدم الفاعلية، وهذا راجع إلى عقلية المؤرخين ونظرهم الخاص إلى الصراع في المغرب العربي سياسيا أو مذهبيا وطائفيا.

ومن أشهر المؤرخين في مرحلة المرابطين نخص بالذكر:

-**الفتح بن خاقان:** اسمه **محمد بن عبد الله القديسي الأشيلي** [2]، وعرف **بأبي نصر**، كان مؤرخا معروفا وناقلا مسموعا، فألف كتاب " **قلائد العقيان**" ما بين 506-521هـ/1117-1129م، وقدمه للأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، توفي مقتولا بمراكش سنة 529هـ، وذكر أنه اتبع هوى النفس وكان شاربا للخمر.

[1] ابن خلدون، المقدمة، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 33.

[2] لفظة "خاقان" تركية معناها الملك، علي أدهم: بعض مؤرخي الإسلام، ص 84.

-**أبو الحسن علي بسام الشنتريني:** أشهر مؤرخاته " **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**"[1]، ويشمل على ثمانية مجلدات، ترجم ل 154 نسخة لأعيان الأندلس في الأدب والسياسة لمعاصريه، توفي سنة 503هـ.

-**ابن بشكوال** [2]: صاحب كتاب " **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**"، الذي ألفه سنة 534هـ.

- **محمد بن الخلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفي:** المكنى **أب عبد الله،** والمعروف **بابن علقمة من بلنسية،** ولد 428هـ، ألف كتابا عن سقوط بلنسية على يد الروم وما وقع لها من أهوال ومآسي بعد معركة الزلاقة وسماه " **البيان الواضح في الملم الفادح**"، توفي بدانية سنة 509هـ مخلفا أبناء صالحين منهم ابنه الكاتب عبد الله بن محمد المعروف بالصدفي.

-**مالك بن يحي بن وهيب الإشيلي** ألف " **قراضة الذهب في ذكر أيام العرب في الجاهلية والإسلام** " **وابن حمديس عبد الجبار بن أبي بكر** الذي ألف " **الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس**"[3].

ولم يغفل المغاربة أيضا من علم الجغرافيا، فتعرفوا على معالم الطبيعة واستدلوا بكتاب بطليموس الجغرافي اليوناني (90-168م) ثم أضافوا عليه وصححوا فيه، فتمكنوا من وضع الخرائط، وتصميم جغرافية الأرض محددين أهم المعالم فيها من جبال وبحار وتضاريس ومدن ثم استنتجوا شكل الكوكب وأهم نسب مكوناته، ثم ألفوا المعالم في الجغرافيا، واستدلوا

[1] وهذا الكتاب لتعريف أهل الشرق بأدباء المغرب وروعتهم التي لا تقل عن علماء المشرق.

[2] ابن بسام أبو الحسن علي: **الذخيرة النسبة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، المقدمة، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1998م، ص ص 11 – 12.

[3] خفاجة محمد عبد المنعم، **قصة الأدب في الأندلس**، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 1962، ص52.

بها للتعرف على الشعوب الأخرى في إفريقيا وأوروبا وما جاورهم، وهنا وصفوا وحدوا الشعوب ومناطقهم وبينوا الاختلاف في الأجناس والشعوب[1].

وأشهر العلماء في مجال الجغرافيا بين المغرب والأندلس في عصر المرابطين نجد:

- **أبو عبيد الله البكري:** هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر البكري وكنيته أبو عبيد من شلطيش، من قرطبة أصدر " المسالك والممالك" و " معجم ما استعجم" توفي سنة 487هـ بقرطبة.
- **الإدريسي:** هو محمد عبد الله بن إدريس القرطبي الصقلي، كنيته، الشريف الإدريسي، ولد بسبتة في سنة 493هـ وألف "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و " روضة الأندلس ونزهة الأنفس"، " الجامع لصفات أشتات النبات و ضروب أنواع المفردات من الأشجار والأثمار والأصول والأزهار".
- **أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن ربيع القيسي بن تميم القيرواني:** المكنى بأبي حامد الغرناطي، ولد 473هـ بغرناطة، وعرف بكثرة ترحاله، فجال بصقلية والقاهرة، وبغداد وإيران وهنغاريا، وألف " المغرب عن عجائب المغرب"، التقى أبا حفص عمر بن محمد صاحب كتاب " وسيلة المتعبدين"، فسجل عنه مشاهدته وعجائبه في البر والبحر فكتب له " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" ، توفي الغرناطي بالموصل سنة 541هـ.

أما في مجال الفلسفة فقد أبدع المغاربة عصر المرابطين فحاورا العقل، فأثروا النقد، وحرروا الفكر وبايعوا الإبداع وتكامل الأدب.

وأشهر فلاسفة المرابطين نذكر:

[1] البشير صفر، **الجغرافيا عند العرب " نشأتها وتطورها"**، تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 21.

أبو بكر محمد بن يحي الصائغ السرقسطي، وعرف بابن باجة [1]، وكان فيلسوفا وطبيبا، أجمع المؤرخون أنه من مواليد أواخر القرن الخامس هجري بسرقسطة، وعاش متنقلا من إشبيلية إلى غرناطة والشاطبة وفاس، وهو أشهر حاملي لواء الفلسفة[2] في المغرب وقد أحياها بعد ركودها في بلاد المشرق، وتعددت علومه بين الطب والفلسفة والفلك، وعلوم الطبيعة والأدب فكان شاعرا وبليغا، وقد علا شأنه فولي وزيرا في عهد أبو بكر يحي بن يوسف بن تاشفين لعشرين سنة، وتوفي مقتولا بالسم سنة 533هـ، الذي دس له من طرف أبو علاء بن زهر، أهم مؤلفاته: " تدبير المتواجد" [3]، " الوقوف على العقل الفعال" [4]، " رسالة الوداع" [5]، "رسالة اتصال العقل بالإنسان"[6]، " مقالات السماع"، " لكون والفساد"، " رسالة في المتحرك"، " من كلامه في ماهية الشوق الطيعي"[7].

من خلال دراسة ما توفر وتناقل بين الباحثين، يتجلى للمطلع أن الحياة الثقافية في بلاد المغرب وعصر المرابطين اتسمت بالشمولية والمزج بين مختلف الثقافات وميزها التفتح على مصراعيه، وما ذكر أوجز ما يمكن نقله، ففي دراسة ثقافة المرابطين ما يسع ولا يتخذ، وما يدعوا إلى التنويه والذكر هو مزامنة ومعاصرة بعض فترات الثقافة المرابطية للدولة الحمادية تاريخيا.

[1] ديلاسي أوليراي، **الفكر العربي ومكانته في التاريخ**، ترجمة، د.تمام حسان، مراجعة د. محمد مصطفى حلمي، الهيئة العامة للكتاب، ط2، 1997، ص 171.

[2] محمد إبراهيم الغيوبمي، **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1987، ص 166.

[3] أبو بكر محمد بن يحي الصائغ السرقسطي ، **تدبير المتواجد**، تحقيق معن زيادة، دار الكندي، بيروت، 1978.

[4] السرقسطي، ت **الوقوف على العقل الفعال** ، تحقيق ماجد فخري، في رسائل لابن ماجه الإلهية.

[5] السرقسطي، **رسالة الوداع** ، تحقيق ماجد فخري، في رسائل لابن ماجه الإلهية.

[6] السرقسطي، **رسالة اتصال العقل بالإنسان** ،تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960.

[7] السرقسطي، **من كلامه في ماهية الشوق الطيعي** ، تحقيق جمال الدين العلوي.

المبحث الثالث: العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب زمن المرابطين

كانت للدولة المرابطية مراحل كثيرة من خلال حكامها وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، فقبل قيامها كان حكام المغرب على علاقة مع المشرق ووطدوا علاقاتهم الثقافية مع علماء المشرق[1].

وإن أكثر ما يشغل المفكرين الدارسين لتاريخ المغرب وخاصة المستشرقين [2] العلاقة الفكرية والثقافية مع المشرق، والنزاعات الداخلية، وكذلك الخارجية مع دول المشرق فكانت علاقة المرابطين بالعباسيين متسمة بالاحترام المتبادل [3]، وتجلى ذلك في صك النقود باسم المشارقة، وفي زمن يوسف بن تاشفين أرسل إلى الخليفة العباسي وفدا به محمد العربي الأشيلي وابنه القاضي أب بكر مسلمين هدايا للخليفة وسلم الخليفة العباسي عهدا بتقليد يوسف بن تاشفين حكما على المغرب و الأندلس، كما كانت تلقى الخطب باسم العباسي الخليفة.

كما اعتبر عصر المرابطين عصر سيادة علماء المالكية في المغرب وكان سند بن عنان الأزدي أحد كبار العلماء بها.

وعلى الرغم من محدودية وقصر خلافة المرابطين (447-541هـ/1055-1146م) إلا أن آثارها الثقافية والفكرية امتازت بأرقى العوالم وأهم العلماء وازدهرت الحياة الثقافية وكانت أهميتها في الحياة جلية من حيث الهدف والتأثير في غيرهم[4].

وما زاد توطد العلاقة المغربية المشرقية زمن المرابطين هو الوحدة الفكرية والمذهبية والعقائدية، فقد شجع المرابطون التيار السني بالمغرب، محافظين على المذهب المالكي و

[1] R. dozy , Histoire des Mousuhman d'Espagne, VO/IV , P 252,288.

[2] إبراهيم القادري بوتشين ، **الإسلام السري في المغرب العربي**، سيناء للنشر، القاهرة، 1995م، ص 116.

[3] محمد بن دادة، **مفهوم الملك في المغرب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص 95.

[4] محمد بن حسن ، **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط قراءة جديدة للتاريخ العربي**، دار الروح الأربعة، تونس، 1980، ص 95.

استفادوا من تعدد المذاهب دون إثارة الفتن بينها والفوضى في البلاد، وما ساهم في استقرار الأوضاع عدم تعارض الدين والمذهب المالكي مع التطور والرقي الحضاري والفكري[1] ولا في العلاقة مع المشرق.

وكذلك شهر حكام المرابطين على دعم الترابط والتمازج الفكري والديني والحضاري والرقي الفاضل مع المشارقة، وبهذا كانت ثقافة مغربية بطابع مشرقي دعمها الجانب الديني الواحد[2].

وعرف المغرب زمن المرابطين فسحا واسعا، فلم يكن إجبارٌ وقهرٌ ولا إكراه في حياة الشعوب لا دينيا ولا مذهبيا فساهم ذلك في تداخل المؤثرات الأندلسية بالمغربية، ونشرت الثقافة وارتفع المستوى الثقافي، وجعل المرابطون بلدهم همزة وصل بين الحضارات في المغرب والمشرق والأندلس.

وساهم العلماء المغاربة في نقل تطلعاتهم الفكرية وتلقيهم مكاسب علمية مع علماء المشرق ونذكر أبا الفضل بن يوسف النحوي الذي قصد سلجماسة حاملا مشروع الحضارة فدرس بها الأصول [3]، ويوسف ابن يعقوب الورجلاني الملقب بالجاحظ [4]، الذي رحل إلى الأندلس، وقد رسم علماء وأدباء المغرب صورة إيجابية تدعم العلاقات التي شاعت خاصة مواسم الحج وقوافل الحجيج التي تقصد مكة مرورا ببلدان المغرب والمشرق، فلم الدين شمل القوافل الكثيرة فكانت واحدة[5]، من فاس وقيروان ومصر.

---

[1] ابن خلدون الغزالي، **آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية**، جمع ونشر حسن شربتلي، دار الفتوح للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ، ص 113.

[2] ابن رضوان، أبو القاسم بن رضوان المالقي، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق علي سامي القشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، المغرب، 1984، ص 25.

[3] الجراري، **وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**، الدار البيضاء، 1967، ص 26.

[4] عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس** – القسم الأول، عصر المرابطية وبداية الدولة الموحدية، القاهرة، 1964، ص 424.

[5] محمد القبلي، **مراجعات حول الثقافة بالمغرب العصر الوسيط**، ص 28.

وكذلك تكامل الوحدة الشعبية المغربية وحب الاكتشاف والمعرفة وتقوية أواصر التعامل في التجارة فكانت محلية وخارجية بفاس وسلجماسة ومراكش، وكذا العادات والتقاليد، وكان التفاعل بين العابدين واضحا، وما ظهر في عصر المرابطين جماعة التصوف التي قاومت وحدة المغاربة دون تحديد رقعة خاصة بهم بفاس أو تلمسان وسلجماسة [1]، أما علماء المغرب فكانوا يقصدون المشرق زيارة أو مكوثا بها[2].

ومعهم نقلوا حواضر المغرب وفلسفة المغارب وعاداتهم وأفكارهم، دوت انقطاع، فكان التواجد البشري المغربي قائما بالمشرق، والحركة دائمة لأن دوافع الهجرة كثيرة ودوام البحث فيها كثير [3]، ولم تثنهم بعد المسافات ومشقة السفر، وصعوبة الطرق فلتسهيل السفر كان المغاربة ينظمون مواسم الحج الجماعي [4]، وكل ذاهب إلى المشرق كان لابد من مروره على مصر خاصة بعد ازدهار القاهرة وانتقال الخلافة إليها من بغداد[5].

ولم تقتصر هجرة المغاربة إلى المشرق على بلد معين بل دام التنويع وحي الأوطان العربية بعدما جمعهم الدين، وقد أحب علماء المغرب بلاد الشام فكانوا يقصدون دمشق وفلسطين وهذا لمقدساتها ومخلفات الرسول – صلى الله عليه وسلم– في ربوعها وأهمها المسجد الأقصى، والجامع الأموي مهد الحضارة الثقافية بالشام[6].

ولم تكن العوامل الدينية سببا وحيدا لهجرة علماء المغرب إلى الشام والمشرق عامة، بل ساعد في ذلك عامل الطبيعة والمناخ المتشابهين مما جعل المغربي لا يشعر بالغربة وقد قال

---

[1] عصمت دندش، **الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، السودان على عهد المرابطين، مجلة الدعوة إلى الحق**، العدد1986/258، ص 71.

[2] المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، 7 مجلدات.

[3] صلاح الدين المنجد، **المشرق في نظر المغاربة**، بيروت، 1963، ص 20.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 34.

[5] محمد بن أبي السرور البكري المصدقي، **الروضة المأنوسة في أخيار مصر المحروسة**، تحقيق ليلى الصباغ، القاهرة، 1983، ص 122.

[6] محمد الربيع السعيد، **فضائل دمشق والشام**، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1950، ص 123.

أحدهم: " تذكرت بلادي النائية بذلك المرأى الشامي، وعند رؤيتي لتلك الأقطار الجليلة الأوصاف، العظيمة الأخطار تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار"، وهذا التشابه ما بها من مناظر وأنهار ووديان وأزهار[1].

وكذلك حفاوة وكرم أهل المشرق ساعد على دمج المغاربة معهم، فزاد ذلك في المغاربة عزا وحبا للعلم والتفتح، فكان موقع المغرب مساعدا على فتح مجال تجاري وثقافي لترويج ما بالمشرق، وهكذا توحدت البلدان والحواضر وتعددت طرق الاتصال وهجرة الثقافة، وما سهل على المشارقة اكتساح بلدان المغرب هو دخول معظمهم الإسلام دون حروب، فكان جيش المشرق يختلف عن باقيه بما فيه من الإسلام الحنيف من قيم لا توجد بغيرها، وبذلك قصد الصحابة وتابعيهم بلدان المغرب فاتحين فكان عددهم خمسة وعشرون من استقروا بالمغرب لنشر العلم والدين من أصل ثلاثين فاتحا[2].

وأشهرهم عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الواسع العلم والمعرفة فعين لجمع الصدقات في الجيش الإسلامي الفاتح لبلاد المغرب، وحنش الصنعاني الذي نشر من العلم خيرا لينما سافر من مصر إلى الأندلس مرورا على المغرب[3].

وهذا ساهم في التحاق المغاربة بالجيوش الفاتحة، فكانت مظاهر التمازج الثقافي واضحة، ومثال ذلك طارق بن زياد الذي تعلم الخطابة وعلوم الدين وأصبح مصدرا مهما في تاريخ الأندلس[4].

---

[1] المقري، المصدر السابق، ص ص 65 – 66.

[2] الدباغ، **معالم الأديان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق أبو النور، محمد مضوي، نشر المكتبة العتيقة، بدون سنة الطبع، طبعة ثانية، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوخ، نشر المكتبة العتيقة، تونس، 1993، ص 219.

[3] ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص ص 23 – 25.

[4] بيضون إبراهيم، **الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 122.

وكان علي بن يوسف بن تاشفين الذي مثل حضارة الترف، فأصبح وضعه مشابها لملوك المشرق من تشييد القصور والتأنق في الألبسة والتفنن في الأطعمة، حتى أصبحت مراكش زاخرة بمظاهر حياة الترف [1]، فامتلأت القصور بالجواري والعبيد وجلبت التحف الجميلة، وكثر الشعراء وخدام البلاط، وساهم الحكام المرابطون بعد تاشفين في مجالس اللهو والغناء، وشارك قادة جيش المرابطين في تفشي الترف كما في المشرق فكثر اللهو [2]، وكان القادة من أقرباء الحكام فاتخذوا الجواري والخدم وسكنوا القصور.

وجلب الحكام المرابطون إلى مراكش دارسي اللغة والشعراء والأدباء ورعوهم، حتى تخيل أن مراكش أصبحت بغداد، وتميز الكتاب والوزراء بغناهم، فانعزلوا عن الأئمة وعادوا شعوبهم وانعزلوا عن رعيتهم فكانت ثقافتهم ارتجالية وانتهازية خبيثة [3]، وجاورهم الفقهاء وبانت الطبقية ولم يكن لقاؤهم بالرعية إلا بالمواسم والأعياد، وكان لهم وزنهم وشكلوا خطرا بتشكيل الهرم الاجتماعي[4].

رغم ترف البعض من العلماء وانقياده إلى حياة البذخ مع الحكام والقادة فقد لزم بعض الدعاة البساطة وفضلوا حياة الزهد ورفضوا تولي مناصب القضاء، وعاشوا بتواضع[5].

وما يظهر من بوادر التأثر بين الثقافتين المغربية والمشرقية هو الطريقة العلمية التي طبقها القادمون إلى المغرب من أصحاب الأفكار والمذاهب، فعلى سبيل المثال انتشار المذهب الإباضي[6] في المغرب لكونه أكثر عمقا ورسوخا في المشرق، وحسن تنظيم دعوته

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما تجر ذلك من شجون الكلام**، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964، ص 223.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص 500.

[3] عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، **الغنية**، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978، ص 171.

[4] أخبار المهدي بن تومرت، ص 24.

[5] ابن العربي، **العواصم من القواصم**، الرياض، 1984، ص 138/137.

[6] باجو مصطفى، **أبو يعقوب الورجلاني وفكره الأصولي، مقابلة بأبي حامد الغزالي**، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1995، ص 118.

وطريقته في إعداد أتباعه وأفراده، وأخلاق أتباعه وقربهم من العقلية المغربية من حيث السلم والحرب.

ولقد انتقلت ثقافة المشرق إلى المغرب، وكانت الدعوات في المشرق [1] تزداد عددا وترقى تنظيما وتغنى فكرا، وتتطلع إلى نشر أفكارها ومبادئها في أطراف الدولة العباسية، فقام المشرفون على مبادئ الدعوة العبيدية بتجربتهم الثقافية [2] بتأسيس دولة في بلاد المغرب، تتبعوا فيها طرق ملتوية وسرية تقية راسخة وقوة دافعة ومرحلة انتقالية ضد السلطة العباسية بالاعتماد على دعوة عاطفية وثقافية مشتركة، وهي الدعوة إلى آل البيت، وفعلا نجحت سياستهم نسبيا وفشلت ثقافيا ومذهبيا في بلاد المغرب بمجرد رحيلهم إلى مصر، عكس المذهب الإباضي الذي استمر في المغرب إلى اليوم.

ولقد نتج عن النشاطات السابقة في نقل الثقافة من المشرق إلى المغرب ارتقاء الثقافة المغربية وازدياد الرغبة في تلقي المزيد منها حيث المنبع والمصدر، وعرفت فترة القرن الثاني في المشرق ثقافيا بأنها فترة جمع الحديث، واشتهرت مجموعات وبرزت شخصيات في هذا العلم، أما الفقه فبرز في نفس الفترة مذهب مالك في المدينة، وأبي حنيفة في العراق، عدا مذاهب متعددة ظهرت آنذاك هنا وهناك بلغت حوالي ثلاثة عشر مذهبا، إلا انه لم يكتب لها الاعتماد.

ورغم هذا التعدد المذهبي الفقهي في المشرق إلا أن المغرب قد تميز بالاستقرار المذهبي، حيث تمسك المغاربة بالمذهب المالكي لقربهم منه فكريا وحضاريا وإقليميا، وانتقل المغاربة إلى المدينة لتلقي الفقه المالكي، وعلى هذا تميزت هذه الفترة بالنشاط في المجال اللغوي، فظهر البحث في النحو والتاريخ الذي يتعرض إلى السيرة وأخبار الفعاليات القبلية في الماضي الإسلامي، فانتقل إلى المغرب حب الشعر وممارسته، وبذلك تكون الثقافة

[1] ابن أبي زميتي، **كتاب قدوة الغاوي**، تحقيق عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 135.

[2] أشياخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، الترجمة العربية، القاهرة، 1958، ص 399.

المغربية قد استمدت أصولها من المشرق بعد العهد الجديد وهو الفتح الإسلامي، ثم تطورت هذه الأصول بالانسجام مع أوضاع المغرب الأمر الذي يعني ظهور تنوع في الفروع ضمن إطار الثقافة الواحدة في الحضارة الواحدة.

ولقد ساهم الارتباط الثقافي والسياسي بين المغرب والمشرق إبان الدولة المرابطية في ترسيخ الوحدة، ونتج ذلك عن الخلافة السنية ببغداد والنهج المذهبي المشابه بالمغرب، حيث أن قيام الدولة المرابطية بالمغرب أعاده إلى أحضان المشرق، إلا انه هناك من اعتبر أن قيام الدولة المرابطية هو مهد الوحدة المغربية وإعلان الاستقلال الفعلي عن المشرق، وقيام الدولة يعبر عن استعادة المغاربة مصيرهم السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي بأيديهم وأن المشروعية المشرفية للدولة تمت في بداية قيامها وانقطعت.

لكن الواقع غير ذلك حيث أن الدولة المرابطية استمرت في إيفاد الوفود إلى بغداد حتى صارت سُنة لكافة أمراء المرابطين.

وتزامن قيام الدولة المرابطية في المغرب مع السلجوقية في المشرق، لذلك مثلت الحركة السنية ظاهرة عامة بصمت في مسيرة الدولتين وهو ما يفسر هذا الترابط الوثيق بين وحدة المغرب والخلافة في المشرق.

الفصل الثاني

العلاقات الثقافية زمن الموحدين

المبحث الأول

قيام الدولة الموحدية

المبحث الثاني

الحياة الثقافية للموحدين

المبحث الثالث

العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب زمن الموحدين

المبحـــث الأول: قيـــام الدولـــة الموحديـــة: انظر الملحق رقم (05)

قامت الدولة الموحدية على أسس إصلاحية دينية بحتة، وكان ذلك بزعامة رجل بربري يدعى محمود يخو محمد بن تومرت الذي ولد في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (471هـ/1078م)[1]، وهناك من يقول ولد سنة (474هـ/ 1081م)[2]، وهو محمد بن عبد الله بن عطاء بن رباح بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [3]، وهو بهذا يدعى النسب الشريف [4]، وينتسب ابن تومرت إلى قبيلة هرغة المحمودية القاطنة بجبل السوس إلى أقصى بلاد المغرب، عرف منذ صباه بحبه لطلب العلم وقد عرف باسم أسافو البربري والتي تعني بالعربية الضياء، لأنه كثيرا ما يعمل بسرج القناديل بالمسجد [5]، وهذا يدل على ملازمته منذ الصغر للمسجد، حفظ ابن تومرت القرآن وبعض مبادئ النحو في قريته [6]، ثم قصد مراكش [7]، وسبتة [8]، التي كانت تضاهي عاصمة العباسيين ببغداد في التطور والازدهار[9]، وبعدها انتقل إلى الأندلس لطلب العلم ووصل إلى قرطبة [10]، وهناك درس بعض أصول المذهب الظاهري لابن حزم (455هـ/1063م)[11].

توجه ابن تومرت إلى المشرق طالبا العلم وكانت المواطن التي درس فيها متعددة ومتنوعة التخصصات والمذاهب والاتجاهات، يدرس بها أساتذة وعلماء لهم بصمات في

---

[1] الزراكشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضوي، المكتبة الفنية، جامع الزيتونة، تونس، ص 2 – 3.

[2] البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 24.

[3] ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج1، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973، ص 50.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، مج7، ص 46.

[5] البيدق، المصدر السابق، ص 50.

[6] رشيد بورويبة، **ابن تومرت**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1991، ص 18.

[7] مراكش: مدينة بالمغرب الأقصى بناها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بعد أن اشترى أرضها من أهل أغات، أنظر الإدريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، ج1، تحقيق حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص 83.

[8] سبتة: مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر وهي مقابلة للجزيرة الخضراء، الإدريسي، المصدر نفسه، ص 249.

[9] ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسة في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النبر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص 99.

[10] ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 62.

[11] زكي الإدريسي، **الإمامة عند ابن تومرت**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 109.

التراث الإسلامي في الفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف واللغة [1]، ومن المحطات المشرقية التي تركت بصماتها الفكرية في شخصية المهدي حاضرة الإسكندرية حيث تتلمذ فيها على يد أبي بكر الطرطوشي [2]، الأندلسي المالكي، تعلم منه أصول الفقه والجدل وأفكار فلسفية وصوفية، ولعل هذا من أبرز ما أثر في شخصية ابن تومرت الفكرية إضافة إلى طبعه البدوي الجبلي، وتعد بغداد [3] الحاضرة الفكرية الثانية المشرقية التي قضى بها حوالي عشر سنوات[4]، اكتسب فيها كما من المعارف والمعلومات إضافة إلى خبرة في حياته الفكرية، حيث اطلع على فلسفة الفرق المذهبية والسياسية وعلى انتماءاتها المختلفة من فقهية، وعقائدية وعلمية وسياسية، وعرف في بغداد الكثير من العلماء والمفكرين ودرس على بعضهم واتصل بآخرين[5]، ومن بين الذين درس عليهم ابن تومرت، أبا بكر الشاشي والمبارك والمبارك بن عبد الجبار [6]، الهراسي[7]، وأبا حامد العزالي [8]، وبفضل هؤلاء تحددت ملامح شخصية ابن تومرت الفكرية من خلال ما أخذه من هؤلاء الشيوخ واقترابه من العلماء والمفكرين الذين لهم مكانتهم في المجتمع.

[1] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد السعيد العريان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص 155.

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 156.

[3] يتحدث ابن خلدون في العبر عن استفادة ابن تومرت في بغداد لما لقيه لدى علماءها، ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 465.

[4] عبد المجيد النجار، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 67.

[5] هو أحد كبار فقهاء الشافعية فأخذ عليه ابن تومرت أصول الفقه وأصول الدين، أنظر عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 157.

[6] عبد الجبار: هو ابن القاضي عبد الجبار أعلام المعتزلة صاحب كتاب تدرج الأصول الخمسة، له عدة مناضرات مع الفرق الفقهية الأخرى، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 110.

[7] الكيا الهراسي: هو العالم الأشعري المتأثر بمدرسة الجوينة كان يدرس الفقه والجدل والحديث، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 111.، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 155.

[8] أبو حامد العزالي، الفقيه الفيلسوف وغيرها من الأمور التي تحدث عنها الكثير منها: المراكشي، ابن القوطان، ابن خلدوز ابن الأثير، ابن أبي دينار وغيرهم.

أما الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن فإنه أمر بأن تجمع أحاديث الجهاد وجعلها مجموعة واحدة وأخذ يمليها بنفسه على كبار رجال الدولة[1]، وفي عهد المنصور الموحدي صار علماء الحديث في منزله وصيت الحاكم في الدولة[2].

وقد أمر بجمع أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم– المتعلقة بالصلاة في مؤلف يوزع على الناس وكان يملي ذلك للجموع بنفسه [3]، ومن اشتهر في علم الحديث أبو الخطاب بن دحية السبتي، وعبد الرحمن بن محمد بن حبش[4].

وكذلك كانت هناك نشاطات في مجال الفقه حيث ألف ابن تومرت كتابه الموطأ على غرار موطأ الإمام مالك الذي أمر بحرقه الخليفة عبد المؤمن كل كتب المذهب المالكي، وكذلك في عهد المنصور الموحدي، والاكتفاء بالقرآن والحديث[5].

ولقد كانت الحياة الأدبية والعلمية الدعامة الثانية التي أمدت الحركة الفكرية بالكثير من المعارف والعلوم، وقد لعبت اللغة العربية دورا هام في المعاملات وقد حرص الخليفة عبد المؤمن على إلزام خطباء المساجد بمعرفة اللغتين العربية والبربرية [6]، وهذا راجع إلى كسب مودة البربر وأن هذه الثورة على المرابطين قام لها البربر[7].

وقد ازدهر الأدب في الفترة الموحدية بنوعية الشعر والنثر باعتباره مطهرا من مظاهر الحركة الفكرية بالبلاد، فحضي الأدباء بالرعاية والعناية من ولاة الأمر حيث بلغ الشعر والنثر درجة كبيرة من الرقي [8]، حيث صارت المحافل تمتلئ بالشعر والكتاب وكان بعض

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ط2، ص 156.
[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 256– 257.
[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 287.
[4] المنوني، **العلوم والفنون والأدب في عهد الموحدين**، تطزان، 1950، ص 47 – 48.
[5] ملبن: **عصر المنصور الموحدي**، مطبعة الشمال الإفريقي، تونس، ص 258.
[6] محمد بن تاوين، **الأدب المغربي**، ط2، بيروت، 1969، ص 130.
[7] عبد الله علام، **الدعوة الموحدية بالمغرب**، ط1، دار المعارف، المغرب، 1964، ص 314.
[8] كنون، **أمراؤنا الشهراء**، تطوان، المملكة المغربية، ط2، 1950، ص 18.

حكام الموحدين يناقش الشعراء كالخليفة عبد المؤمن والمنصور الموحدي[1]، وصاحب كل هذا تدفق أدباء وشعراء على البلاد الموحدي بحثا عن العطايا الجزيلة والمنح التي كان يقدمها الخلفاء والأمراء على الأدباء، وقد أثر هذا كله في ازدهار ورقي في الشعر والنثر [2]، ونذكر بعض من الشعراء الموحدين فهناك أحمد بن عبد السلام الجراوي [3]، وأبو عبد الله محمد بن جبوس من أهل مدينة فاس[4]، وأبو بكر بن مجبر من شقورة وكان شاعر خاص للخليفة عبد المؤمن، وكانت هناك أيضا الشاعرات فنذكر منهن حفصة بنت الحاج الركونية وهي من أهل غرناطة ولها مجموعة من الأبيات [5]، وكذلك بجانب ذلك كان هناك الخطباء الذين يحتلون صدور المحافل والمجالس فالمنصور الموحدي كان يجلب إليه الخطباء وكان هؤلاء سيتنافسون في إطار براعتهم وقدرتهم على، ارتجال الكلام وإقناع السامعين.

أما النحو فقد نال عناية ورعاية باعتباره أداة تقويم اللسان، وقد اهتم ولاة الأمر بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيتهم على النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة وظهور الكثير من الذين ألفوا مجموعة من الكتب تنبئ عن علو قدرهم ومهارتهم [6]، وصاحب ذلك وجود عدة مدارس نحوية في عهد الموحدين على نمط ما حدث بالمشرق، وكانت كل مدرسة لها بعض الآراء الخاصة التي انفرد بها فكانت هناك مدرسة فاس ومدرسة تلمسان ومدرسة سبتة وغيرها من المدارس النحوية التي انتشرت في طول البلاد وعرضها[7]، ومن أشهر من في النحو أبو بكر بكر بن محمد بن عبد الله وكان متبحرا في النحو وله عدة مؤلفات وقد عظمت منزلته عند الخليفة المنصور الموحدي[8].

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص 169.

[2] العبروس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، ط 2009، ص 540 – 541.

[3] ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تعليق ونشر الفريد بل وابن أبي شنب، الجزائر، 1919، ص 108.

[4] المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، القاهرة، 1949، ص 213- 214.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ص 218.

[6] عبد الله كنون ، **النبوغ المغربي**، ج1، ط2، بيروت، 1961، ص 128.

[7] كنون، المرجع السابق، ج1، ص 130.

[8] العيدروس محمد حسن، **المغرب العربي في الهصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، 2009، ص 533.

وكذلك نجد المؤرخين الذين كانوا يؤرخون للدولة والحروب ولقد فقدت الكثير من المؤلفات [1] ، ونذكر بعضها المعجب في أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي النميسي المراكشي، ونظم الجمان لابن القطان وغيرها من الكتب التاريخية في الدولة الموحدية وهذا راجع إلى ولع هؤلاء الكتاب بالتاريخ.

وقد غرب إلى البلاد الموحدي علماء الطب والفلك والرياضيات والجغرافيا وغيرها من العلوم العقلية والنقلية[2].

وكانت للفلاسفة مكانة في بلاد الحكم وكان أكثر الفلاسفة في عصر الموحدي ابن طفيل الذي يشكل مع أساتذة ابن باجة وتلميذه ابن رشد ثلاث فلاسفة بلغت أوجها وسمح لهم بدراستها وتدريسها بعدم كانت غير مسموح بها في الدولة المرابطية حتى جاء ابن تومرت وسمح بدراستها[3].

وقد استعمل هؤلاء العلماء والفقهاء والأدباء للبناء السياسي في الإطار الثقافي وهذا ما بينه، ابن العربي في مقدمته للكتاب عنقاء المعرب بالرغم ما يحمله هذا الكتاب من نقد للدولة الموحدية، إلا أنه أوضح بشكل واضح أنه قد استفاد الحكام من بناء دولتهم بالدرجة الأولى من العلماء الذين قربهم إليهم لبناء الكيان السياسي والثقافي لهذه الدولة[4].

[1] العبدروس، نفس المرجع، ص 538 – 539.

[2] عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص 135.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق ، ج4، ص 434، وحاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، ط2، طبعة وكالة المعرفة الحلبية، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1942، ص 520.

[4] ابن العربي: **عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب**، مطبعة العلم، دمشق، 1970، ص 85 – 86.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية للموحدين

عاش المغرب الأقصى في ظل نهضة فكرية وهذا يرجع إلى ازدهار الحياة الدينية التي أتى بها المهدي بن تومرت وكذلك الصراع الذي قام بينه وبين فقهاء المرابطين فنتج عن ذلك تنوع في الدراسات الدينية [1]، وبجانب الحياة الدينية الحافلة، كانت هناك الحياة الأدبية من أدب ولغة والحياة العلمية من فلسفة وطب وعلوم اجتماع وغيرها [2]، وصارت المدن المغربية تزخر بطلاب العلم في العلوم المختلفة، ونشطت حركة التأليف [3]، وقد ساعد في تطور هذه الدولة عدة عوامل ونذكر منها استقرار الأوضاع بالبلاد وهذا راجع إلى توحيد المغرب تحت راية الموحدين وشعور السكان بالاطمئنان [4]، وفي ظل هذا الاستقرار تمت الحركة الفكرية، وكذلك تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء وكان بلاط الحكم يعج برجال الدين والأدباء[5]، وقد كان عبد المؤمن يكرمهم، مما دفع الكثير من العلماء إلى التوجه إليه والانطواء تحت لوائه[6]، وكذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وابنه المنصور الموحدي الذي قرب العلماء إليه وأحبهم وشاورهم وجعلهم أهل خدمته وخاصته[7].

وقد جعل هؤلاء العلماء الذين كانوا مقربين إلى الحكام يتمتعون بثراء وغنى وهذا ما جعل الحماس بين العلماء والفقهاء يشتد ليبدع كل واحد منهم في مجاله، وقد سمعوا حكام الدولة الموحدية بدراسة بعض العلوم والتي لم تكن مسموحا بها من قبل في عهد المرابطين كعلم الكلام والفلسفة [8]، وصارت المساجد والجالس وغيرها تشيد المناقشات الفقهية واللغوية والأدبية، وصارت المدن المغربية في عصر الموحدين قبلة لطلاب العلم ومن بين هذه المدن

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص 87 – 89.

[2] ابن خلدون، مقدمة ، ص 431.

[3] حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة الغربية في إفريقيا**، ج1، ط2، النهضة المصرية، 1963، ص 63.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 112.

[5] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج9، مطبعة الاستقامة، ص 165.

[6] نفسه، ج9، ص 166.

[7] نفسه، ج10، ص 127.

[8] ساعد خميس، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، دار الهدى، عين مليلة، 2001، ص 33 – 37.

مراكش[1]، فأصبح يشد إليها الرحال وصارت مهبطا لرواد الثقافة من أعلام الفكر بالأندلس [2]، حتى أصبحت مراكش تضاهي بغداد في عهد المرابطين وكذلك الموحدين [3]، وشاركتها مدينة فاس فبنو بها وشيدوا بالبناء والتعمير وأصبحت فاس كقبة للعلماء من كل مكان، حيث ازدهرت فيها العلوم الدينية في مساجدها [4]، وكذلك مدن أخرى مثل تلمسان ومكناسة وسلجماسة وحفلت بالنشاط العلمي ومن المجالات التي خاض فيها علماء الدولة الموحدية في مجال التفسير فقد زاد الإقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول، ومن هنا أقبل عليه العلماء بالدراسة والبحث[5]، وكذلك علم الحديث حيث نال عناية فائقة من من ولاة الأمر في الدولة الموحدية، حيث اهتم الخليفة عبد المؤمن بالحديث حيث أمر بحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكان ذلك في سنة 550هـ/1155م.

فبعد رحلته في طلب العلم عاد ابن تومرت إلى المغرب متشبعا بأفكار الغزالي والأفكار الشيعية أيضا[6]، التي كانت قد لقيت في بلاد المغرب موطنا من قبل، وانتشرت فيه وتبنى أفكارها الكثير من أهله وتأثروا بها ومنهم المهدي بن تومرت.

وفي طريقه نزل بالإسكندرية وفي تلك المدة بدأ ممارسة دعوته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاشتكى الناس منه فطرد منها ومنه توجه إلى المغرب عبر البحر سنة 510هـ/1112م، فنزل بطرابلس[7]، وبعدها اتجه إلى المهدية وهناك راح كعادته يدعوا الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فطرد منها، ثم اتجه إلى بجاية وبدأ دعوته وكان يطرب الناس يوم العيد لاختلاطهم رجال ونساء وهذا ما أثار الناس ضده ثم ذهب إلى ملالة أين

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 118.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ص 10.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 120 – 121.

[4] الجيلاني، **رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس**، مخطوط مصور عن دار الكتب المغربية تحت رقم 9832، سنة 1951، ص 123.

[5] المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

[6] Charol Andeé julien, Histoire de l'Afrique du Nord (des ou gimesa 1930) édition payot a rivages, Paris,1994, P 441.

[7] ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 18.

لقي عبد المؤمن بن علي[1]، إذ بقي معه مساندا له في دعوته وخرج معا متجهين إلى المغرب الأقصى وكان معهما الونشريسي صاحب المهدي [2]، فنزل بتلمسان وكسب ثقة الأهالي [3]، ثم اتجه إلى فاس، حيث لقن العلم لطلبتها ثم طرد منها واتجه إلى مراكش مرورا بسلا ومكناسة، وبمراكش لقي علي بن يوسف بن تاشفين، وكانت له عدة مناظرات مع فقهاء المرابطين وفيها تمكن من إثبات جدارته وتغلب عليهم وهذا ما جعلهم يطردونه منها[4].

وبعد كل هذه الرحلات عاد إلى مسقط رأسه بإيجليز وأعلن عداءه للمرابطين وحث الناس على محاربتهم[5]، ثم اتخذ من تينمل مقرا له وبايعوه على المهدوية [6]، وقد أطلق على اسم الموحدين على جماعته لأنه مذهب التوحيد كان أساس في عقيدته [7]، وفي سنة (524هـ/ 1130م) كانت موقعة البحيرة التي انكسر فيها الموحدين وبعد هذه المعركة لم يعش المهدي، إلا أربعة أشهر وتوفي[8]، وقد أخفي خبر وفاته قربة السنتين فبويع عبد المؤمن سنة (526هـ/ 1132م) فعمل جاهدا على تنظيم شؤونها وتوحيد صفوفهم وبقي بتينمل، فبدأ مسيرته في السيطرة على الحواضر المغربية وتأسيس دولة متراصة الأطراف فضم المغرب الأوسط والأدنى والأندلس [9]، فتمكن هذا الأخير بالإطاحة بالمرابطين فأخذ الموحدين مدينة فاس ودخلوا طنجة ومكناسة التي استعصى عليهم دخولها فترة من الزمن، وبعدها دخلوا سلا وسبتة وكانوا محاصرين لمراكش حتى تمكنوا من دخولها بمساعدة الجمود المسيحيين وكان

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 179.

[2] البيدق، المصدر السابق، ص 179.

[3] الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1922، ص 4.

[4] البيدق، المصدر السابق، ص 39 – 41.

[5] ابن القطان، المصدر السابق، ص 21.

[6] أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، مج 1، دار المعرفة للطباعة والنشر، ص 180.

[7] السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، الجزء 2، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 775.

[8] ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**،ط3، تحقيق محمد شام، المكتبة العتيقة، تونس، 1923، ص 124.

[9] مقلد النغيمي، **موسوعة المغرب العربي**، مج2، ج4، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص 196.

ذلك سنة (541هـ/1146م)[1]، وفي هذه السنة قتل إسحاق بن علي آخر أمراء المرابطين وبموته بسط عبد المؤمن سلطانه على ملك المرابطين.

ولم يمنا عبد المؤمن بالانتصار الذي حققه وهذا لظهور بعض الفتن التي أفسدت عليه فرحة إنجازاته ومنها ثورة محمد بن هود بن عبد الله الماسي سنة (542هـ/ 1147م)، إلا أن عبد المؤمن تمكن من القضاء عليهم[2].

ثم دخل سلجماسة ثم مليانة وزمنها تقدم إلى الجزائر التي دخلها صلحا وبعدها أخذ بونة، وقسنطينة، وبجاية[3]، سنة (547هـ/ 1150م)، واستنجد أهل إفريقية بعبد المؤمن لتخليصهم من النورمانديين فاتجه إلى المهدية وأخضع تونس [4]، وفي تلك الفترة أخضع سوسة [5]، وقفصة[6]، وصفاقص[7]، وقابس[8]، وتمكن من دخول المهدية[9].

مثلت فترة حكم أبو يعقوب يوسف وابنه المنصور أزهى الفترات التي عرفتها دولة الموحدين، وذلك لأنها عرفت أعظم الإنجازات التي خلدت ذكراهم عبر التاريخ وذلك في جل الميادين [10] ، حظر يوسف الموحدي إلى الأندلس سنة (567هـ/1171م)، وولي على غرناطة[11]، أخوه عثمان الذي خرج لقتال المتمرد سعد بن مردنيش وتمكن منه وأشعار مرسية، عمل يوسف الموحدي على مهادنة النصارى وله فتوحات كثيرة أصيب بمدينة

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 118.

[2] ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص 232، وابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 120.

[3] بجاية: مدينة بالمغرب الأوسط بها الصناع ما ليس بكثير في البلاد وهي عامرة بأهل الأندلس، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 122.

[4] تونس: مدينة قديمة أزلية حصينة بها ثلاث أبواب، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 147.

[5] سوسة: من بلاد إفريقية، إليها تنسب الشباب السوسية، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص 331.

[6] قفصة: مدينة من بلاد الجريد وهي كبيرة قديمة أزلية، أنظر إسماعيل عربي، المرجع السابق، ص 478.

[7] صفاقص: مدينة بإفريقيا بها رباطات على الساحل، وبها أسواق وحمامات كثيرة، أنظر إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 263.

[8] قابس: بها من البربر الكثير ويعمل بها الحرير وبها صناعة الجلود، أنظر إسماعيل عربي، المرجع نفسه، ص 268.

[9] المهدية: بناها عبد الله الشيعي سنة 300هـ، يحيط بها البحر من ثلاث جهات بينها وبين القيروان 20 ميلا، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص 561.

[10] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 450.

[11] غرناطة: مدينة تقع في الأندلس وهي مدينة جميلة، أنظر حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 132.

شنترين[1]، ومات بها متأثرا بجروحه سنة (580هـ/1184م)، ثم توفي بعده يعقوب المنصور وفي تلك الفترة استولى بنو غانية على بجاية وقلعة بني حماد [2]، وهو ما آثار الموحدين وجعلهم يخرجون لمحاربة بني غانية وبالتقائهم هزمهم إلا أن شوكتهم لم تنكسر، وفي هذه الفترة سجل التاريخ انتصار كبير للموحدين ضد النصارى في معركة الأرك سنة (591هـ/1194م) وذلك على يد المنصور الذي توفي سنة (595هـ/ 1199م)، وبعد وفاته خلفه ابنه الناصر الذي هزم بني غانية واسترد ما أخذوه[3]، وبعد هذا بدأ أمر تراجع الموحدين الموحدين خاصة بعد موقعة حسن العقاب ضد النصارى بالأندلس سنة 609هـ، وهذا يعود إلى سوء تسيير الخليفة الناصر[4]، الذي توفي سنة (610هـ/ 1213م)[5].

وبعد وفاة الناصر خلفه ابنه المنتصر الذي قام عليه أقرباؤه في الأندلس والمغرب وبدأت في عهده الحروب والفتن[6]، فقد قام بإبعاد مشايخ الموحدين عنه وأهمل أمور الخلافة والرعية والرعية وما زاد الأمور سوءا ظهور المرنين في عهده [7] ، توفي المنتصر سنة (620هـ/1223م) وبعد وفاته انغمست الدولة في الانحطاط أكير امتد الخلاف إلى داخل الأسرة الحاكمة[8]، وهذا كله لأجل السلطة، وقد سيطر بعض الأشياخ والوزراء على الولاة هذا هذا ما انعكس سلبا على الخلافة التي تراجعت في جل الميادين، وقد تعاقب على الحكم

[1] شنترين: تقع على جبل عالي ومنها إلى مدينة بطليموس، أنظر الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ، ص 273.

[2] قلعة بني حماد: تبعد عن المسيلة مسافة 12 ميلا وهي قلعة يقصدها التجار كثيرا، أنظر الحميري، الروض المعطار في هبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت،ط2، 1984، ص 469- 480، وكذلك عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 480.

[3] الحافظ الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، تحقيق أبو محمد السعيد بن بلسيوني زغلول، دار المكتبة العلمية، ج2، بيروت، لبنان، ص 79.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 104.

[5] محمد عبد الله عنان، **عصر الموحدين والمرابطين في المغرب والأندلس**، القسم الثاني،ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964، ص 332.

[6] مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص 108.

7 Abd Alleh larawi, L'histoire du Maghreb un essai de Snghése, casablanca, Maroc, 1995, P 210.

[8] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج8، اعتناء محمد يوسف نجم، مطابع دار صادر، بيروت، 1971، ص 322.

الكثير من الحكام وكلهم قتلوا وبدأ بعض الولاة يستقلوا على الخلافة الموحدية [1]، وكان آخر خلفاء الموحدين أبو العباس إدريس الواثق بالله، المعتمد عليه الملقب بأبي الدبوس وقتل سنة (668هـ/1271م) وبموته انقرضت دولة الموحدين [2] بعدما تمكنت من توحيد بلاد المغرب لأول مرة منذ تواجد الرومانيين فيها[3]. انظر الملحق رقم (05)

[1] مجهول، المصدر السابق، ص 169.

[2] Plusieur écrivains, L'histoire de Mondes de Moyen age, imprimerie, grafica, éditionale, Italy, 1997, P 233.

[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 335.

المبحث الثالث: العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب زمن الموحدين

لعبت شخصية المهدي بن تومرت والخلفاء الموحدين من بعده دوراً مؤثراً في السيطرة على الوضع السياسي، كما اشتهروا بالشجاعة والكفاءة الحربية والحلم والتسامح، هذا الدور انبثق من خلفية ثقافية متميزة، بعد دراسة واطلاع وتمكين العلاقات [1] ، كما اتسمت بعض مواقفهم بالصرامة وعدم التورع في الفتك بالمعارضين، وتطور الفكر السياسي لديهم ناتج عن الطابع الثقافي الذي اكتسبوه والفكر الذي يرغبون في تجسيده في المغرب، فكانت نظرتهم وحدوية شعبية من أجل كسب الولاء الشعبي، ونقد أخطاء الذين سبقوهم سياسيا، والتركيز على الوقائع الدينية والثقافية[2].

وقربوا إليهم أبناء المغرب لما استولوا على ملكهم واستمالوا القبائل الهلالية واستعانوا بهم في حروبهم، واستغل الموحدون الجانب الديني العاطفي لدى المغاربة استغلالاً ايجابياً، ورفعوا شعار الجهاد من أجل الإسلام وثقافته، وتمكنوا من فرض سلطانهم وحراسة حدود دولتهم سياسياً وثقافياً[3]. وعلى الرغم من اتخاذ المهدوية شعاراً للدولة، والخضوع لابن تومرت في هذا الجانب والانتصار البعض له ، إلا أن الأغلبية من المغاربة ظلت وفية للحياة الماضية، وملتزمة بمذهب الإمام مالك، وبذلك اختفت ظاهرة المهدوية بعد موت المهدي بن تومرت، فأصبحت شعاراً شكلياً، واستمرت كذلك إلا ان محا أثارها الخليفة بن يعقوب (المأمون الموحدي)[4].

[1] - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق، محمد الشمال، المكتبة العتيقة، تونس، ص 80

[2] - دولة الموحدين، مجلة المؤرخ العربي، العدد 13، بغداد، 1980، ص05.

[3] - عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وأراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، 1983، ص 28.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، نشر كاتبة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963، ص 125.

ولم يفلح بعض الخلفاء الموحدين في فرض أراءهم وأفكارهم المذهبية في الوسط الثقافي المغربي، والدليل على ذلك ما وقع للخليفة يعقوب المنصور، الذي لم يفلح في فرض المذهب الظاهري رغم إعجابه به وتحمسه له[1].

وكما هو معروف أن الدولة الموحدية قامت على أساس ديني، والطابع العام لهذه الدولة يشرع الأحتكام الى الدين في أغلب الأحيان، واتخذوا من القرآن والسنة مصدرين أساسين للتشريع، واستعانوا في تشريعاتهم بمؤلفات ابن تومرت وكتب ومذاهب الأئمة[2].

وساعدهم على تبني ثقافة الانفتاح مع الأخر، الاستقرار السياسي والرفاء الاقتصادي، والتكامل الاجتماعي بين الطبقة الحاكمة وعامة الوسط الشعبي، لأنهم كلهم من أرومة واحدة[3].

ورغم الشعار الذي رفعه ابن تومرت، وبعض الخلفاء من بعده فيما يتعلق بطابع ثقافة الدولة، وهو الشعار الديني، فإن هذا لم يحل دون تفتحهم ومرونتهم، فانطبعت الحياة الثقافية والحضارية بالشمولية والموسوعية، وظل تيار الثقافة في المغرب مستمراً، واستفادت منه الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية، وساهم الخلفاء الموحدون بثقافتهم العالية، وتذوقهم الحضاري، وحسهم السياسي، وواقعهم الاجتماعي، وروح العصر وطبيعة المغرب، وسكانه، ومحيطه الدولي، في تبني ثقافة منفتحة ومتطورة، وغير دائمة ولا راكدة، ولكنها محافظة.

وفي عهد الموحدين كان هناك التنافس الثقافي، والإبداعي، ولذلك ساهم حكام الدولة في الممارسة في الحقل الثقافي، والتشجيع والدعم المعنوي والمادي، فكانوا يقترحون على بعض العلماء أن يؤلفوا الكتب وصنفوها في مواضعها[4]، ومنهم من قرب إليه العلماء والمفكرين،

[1] - أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطوير الديباج ، ط1، مطبعة المعارف، القاهرة، ص 118.
[2] - أبو عبد الله المهدي ابن تومرت، أعز ما يطلب، مطبعة بير بونطانا، الجزائر، 1951، ص25
[3] - ابن خلدون، العبر، ج6، 198.
[4] - الطاهر أحمد مكي، دراسات في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 74.

وأصحاب الرأي، وهناك من خصص جائزة سنوية للبحوث والدراسات العلمية والثقافية الجديدة[1]، وتجلت عناية المغاربة في عهد الموحدين بالعلوم الدينية في وفرة الدراسات والتأليف التي تناولت التفسير والقراءات والحديث والفقه، وغيره من العلوم الدينية، وبرز عدد من أعلام التفسير والمحدثين، والفقهاء، وظهر بينهم اتجاهان في التفسير، اتجاه يعتمد الكتاب والسنة، واتجاه يعتمد العقل، كما اعتنى العلماء بالحديث وعلومه، وعلى رأسهم ابن تومرت، الذي استغل بعضها في التدليل على مهدويته، وفي مجال الفقه حاول المهدي بن تومرت وضع مذهب فقهي جديد، يتمثل في عقيدته التوحدية[2]، والذي استقى مصدره من مذهب الإمام مالك ابن أنس، واستعان فيه بمذهب المتكلمين، وللعلم فإن علماء المغرب المالكية قد أبدوا تمسكهم الشديد بمذهب الإمام مالك بن أنس في الفقه.

وفي مجال اللغة كان المغرب في العصر الموحدي من المحافظين عليها، والمبدعين في إثرائها، وعملوا على ترسيخها وشموليتها، ونتيجة لهذه العناية الخاصة بعلوم اللغة العربية، ظهر لهم المصنفات المؤلفة في النحو واللغة والمعاجم.

وفي مجال الشعر شجع الموحدون استخدام الشعراء، فنبغ عدد كبير من الشعراء في المغرب في شتى أغراض الشعر، وفي مقدمتها المديح لإرتباطه بالقصر و الظروف السياسية التي مر بها المغرب[3]، إذ وجد بعض الشعراء المغاربة في بعض الخلفاء الموحدين التجسيد الحي للقوة والعدل فأجزلوا لهم المديح، وكانت اشعارهم بذلك سجالاً مهماً للدولة الموحدية، وبدأ التأثر بالتيار الديني، والتحمس للجهاد في بداية عهد الدولة والتزموا بمقاييس المدح.

ودخلت قصيدة المدح في السياسة والثقافة، فكانت صورة مصدرية للوضع السائد، وتأثر الشعراء بما يقع في المشرق من علاقة المثقف السياسي، فكان هناك وصف الجمال

[1] - سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 83.
[2] - البيدق، المصدر السابق، ص 94، أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص 93، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 183.
[3] - المراكشي، المعجب، ص 200.

والطبيعة، ووصف مجالس الأنس والشراب، ولم يمنع ويحل ويحرم طابع الدولة الديني ذلك، بل اشتهر بعض أمراء الدولة بنظم أشعار الغزل التي لا تخدم الثقافة في جانبها المعرفي[1].

وهناك من الشعراء من سلك اتجاه التصوف والزهد مما أدى الى تكوين معجم الألفاظ التصوفية الموحدية المغربية، ونشأت موضوعات جديدة لربط المغرب بالمشرق ثقافياً، مثل قصائد التشوق على زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأراضي المقدسة في نظر صوفية المغاربة في عهد الموحدين.

وفي مجال النشر برز بعض المغاربة في كتبهم الإنشاء ولاسيما في الرسائل الديوانية، وتميزت هذه الرسائل بخصائص منها الإطناب، والتزام السجع المنمق والتأثر بالقرآن الكريم، وإيثار البديع، واشتهرت مقامات ثقافية لتصوير الواقع السياسي والاجتماعي المغربي في العهد الموحدي، فكانت صورة خبرية مصدرية يعتمد عليها الباحث لمعرفة الواقع في تلك الفترة[2].

ولثراء المغرب الاقتصادي واستقراره السياسي وزخمة الاجتماعي، وتفاعله الثقافي أثناء دولة الموحدين، نبغ عدد كبير من المؤرخين الذين تناولوا الدولة منذ قيامها الى أن سقطت، وكانت كتابات أغلب من أرخ لها إيجابية[3] ، ورغم ورود بعض المبالغات لم تنجب الحقائق التي اتفق عليها جل المؤرخين، وربما الظروف والملابسات التي صاحبت قيام دولة الموحدين بالمغرب، وسيطرتها على جميع أجزائه تقريباً، والظروف الدولية المحيطة بها والثقافية والإسلامية والحضارية التي مرت بها هي التي أملت على بعض المؤرخين المعاصرين التحيز والتحمس لها في بعض الأحيان[4].

[1] - ابن الخطيب، لسان الدين محمد، الحلل في نظم الدول، المطبعة المحمدية، تونس، ص 118، 120.
[2] - القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، ج6، ط 2، الكويت، 1985، ص 446.
[3] - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان،ج2، دار المعارف، مصر، دت، ص 229. المراكشي، المعجب، ص 317.
[4] - البيدق، المصدر السابق، ص 71.

واشتهر عدد من جغرافي المغرب بأبحاثهم القيمة، والمعلومات الدقيقة التي قدموها على طبيعة الأرض والمناخ والتضاريس، والنبات، والمعادن، وحياة السكان الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتميزت هذه الأبحاث بتداخل المعلومات الجغرافية بالمعلومات التاريخية[1]، وكان للخلفاء الموحدين مساهمة في فعالة في تشجيع العلماء على الأبحاث الجغرافية، ومنها قيام عبد المؤمن بعملية مسح عامة لأراضي المغرب بغية تحديد مناطق الخراج[2]، كما أن بعضهم يسأل عن طبيعة الحواضر والمدن المغربية، وساعدت رحلات المغاربة المتكررة الى المشرق على البحث والتعمق في دراسة طبيعة الأرض وخصائصها وحياة المجتمع، كما ساهم المغاربة في رحلاتهم الى الحج بتقديم معلومات قيمة عن ظروف السفر، وتعيين الطرق والمسالك، والتعريف بالدول، وبطبائع المجتمعات التي يرحلون إليها؟؟، وتجاوزت شهرة بعض الجغرافيين المغاربة حدود المغرب الى الدول الأخرى، وتخصص بعض جغرافي المغرب في علوم معينة كالطب، والفلك والتاريخ.

وكان لازدهار الطب بالمغرب عصر الموحدين شأن عظيم للخلفية التاريخية، لهذا الصنف من العلوم، لأن اهتمام المغاربة بالطب كان بارزاً قبل الموحدين، حيث كانت بجاية الحمادية مركزاً ثقافياً، وحضارة مفتوحة، ومن أهم الاختصاصات العلمية الثقافية المتواجدة بها صناعة الطب والتعامل معه، وواصل الموحدون العمل وتشجيع العلماء في ممارسة صناعة الطب، واحتضن بلاط الخلفاء اشهر الأطباء[3].

وشاعت الفلسفة وازدهرت بالمغرب زمن الموحدين للخلفية الفكرية لحكام الدولة الموحدية، فقربوا الفلاسفة لمجالسهم وأمروهم بالعمل على التوفيق بين الفلسفة والدين[4]، واشتهرت عينة من الفلاسفة في بلاد المغرب الذين كانوا في تكامل وصدام مع فلاسفة المشرق ثقافياً[5].

[1] - ليفي بروفسال، مجموعة رسائل موحدية من انشاء الدولة المأمونية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص 32.
[2] - المراكشي، المعجب، ص 79.
[3] - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الأثار للنشر والتوزيع، بيروت، دت، ص 160.
[4] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص 124. ومحمد يوسف محمد، بين الدين والفلسفة، مجلة المقتطف، العدد 74، 1980، ص 535.
[5] - جمعية نبراس الفكر، فلاسفة الإسلام في المغرب، ط1، المغرب، 1961، ص 120.

والى جانب الفلسفة، راجت علوم أخرى تابعة لها كالجبر والمقابلة والتنجيم، والفلك وعلم الكلام، والجدل والمناظرة[1]، وساعد التوجه الثقافي الى استغلال هذه العلوم استغلالاً علمياً فظهرت فيها المؤلفات العديدة.

وفي مجال الفنون تجلت في ميدان الزخرفة والبناء مهارة المغاربة، وذوقهم الرفيع، وتميزت الزخرفة قبل الموحدين أي في عهد الحماديين بالبساطة وعدم التعقيد والغموض، ولكنها ازدهرت نتيجة البناءات المتعددة لقصور القلعة وبجاية[2].

واعتبر المهدي بن تومرت الفن من ترف الحياة ولهوها[3]، ولن بعد الاستقرار والفتح والازدهار الاقتصادي، أخذ الخلفاء الموحدون في الميل على التأليف والتجميل في الزخرفة، والبناء، وتميزت عمارة عصر الموحدون بالضخامة والسعة وتماثل البيانات وحدتها، وتجلت زخرفتهم في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي عنايتهم بتجليد الكتب الأخرى، كما تجلت قدرتهم الفنية في زخرفة جدران المساجد وتصميم المآذن والمنابر بالحفر على الخشب وتزويقه بالزخرفة النباتية والهندسية، ولم تشمل هذه الزخرفة المساجد فحسب بل شملت المدارس والدور والقصور[4]، وكان للمغاربة عناية فائقة بالخطوط فاستعملوا كافة أنواع الخطوط الى جانب الخط المغربي، كما تجلت عنايتهم الزخرفية في المنسوجات والجلود والنقود، وتميزت فنون المغرب زمن الموحدين بالميل الى التنوع، وتوزيع الظل على المواد والسطوح، وأصبغوا عليها شخصيتهم المحلية المتشبعة بعناصر الزخرفة المشرقية.

ولم تكن الثقافة المغربية طفرة بارزة متحجرة منغلقة على نفسها ومنطلقة من ذاتها، ولكنها كانت متفاعلة مع مصدر الحضارة ومنبع الثقافة ومهد الدين في المشرق.

[1] - يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عصر الموحدين والمرابطين ، ج2، تحقيق، عبد الله عنان، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1958، ص 253.

[2] - محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص 62، وليو يولد توريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة عبد العزيز سالم، منشأة المعارف، القاهرة، 1976، ص 13.

[3] - زكي محمد حسن، فنون الإسلامن دار المعارف، القاهرة، 1972، ص 111.

[4] - محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مأثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، ص 403.

ويمكن التعرض الى بعض طرق التفاعل والقنوات التي عبرت عليها الثقافة والحضارة بين المغرب والمشرق، فكانت عديدة ومتنوعة منها: الهجرة من المغرب الى المشرق، وقدوم علماء المشرق الى المغرب بأفكارهم، سواءاً كانت هذه الهجرة اختيارية أو اضطرارية، وكانت القنوات الرئيسية التي انتقلت عبرها الثقافة والحضارة بين المغرب والمشرق[1].

وكانت لأمهات الكتب العلمية والفكرية والدينية المنتشرة في حواضر المشرق دور فعال في تبليغ وترسيخ الثقافة المشرقية الإسلامية في البلاد المغربية[2]، وبعثت هذه المصنفات العلمية لدى علماء المغرب في مسايرة المشارقة والولوج الى البحث والتأليف، فكانت كتب مغربية في شتى صنوف المعرفة تجد مكانها في حواضر المشرق، فأقبل عليها علماء المشرق بالدرس والفحص والنقد مع العلم أن المغرب كان يمثل لعلماء المشرق الفردوس الجميل المجهول، حيث كان علماء المشرق أغلبهم لم يزر المغرب ويعرفونه من أبنائه القادمين الى المشرق، أو من المصنفات التي كتبت عنه ولم تحصل لهم المشاهدة، وإذا حدث وأن قاموا بزيارة فتكون في الغالب الى مكان معين، إما الى إحدى المراكز الدينية والعلمية، أو الى إحدى مراكز السلطة السياسية(البلاط)، أو الى إحدى بيوتات العلماء المغاربة، إذن الزيارة تكون خاصة ومحدودة المكان وقصيرة الفترة الزمنية، فهذا النوع من الزيارة لا يعطي الانطباع العام على المنطقة من الناحية الاجتماعية، حيث لم يكن هناك اتصال مباشر من عامة الناس في المغرب التي تمثل العمق الحقيقي في معرفة العادات والتقاليد، وأساليب المعيشة وغيرها، وهي التي تدفع العالم والمفكر على استنباط الحياة الثقافية طبقاً لما يعرفه عن الحياة الاجتماعية[3].

اذن فالباحث لا يحمل عزوف علماء المشرق في هجرتهم الى المغرب بالقطيعة أو التعالي أو اللغة، أو خوفهم من الجهول أو البعد عن الأهل والربع، أو بعده عن المشرق، ولكن ربما

[1] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 117.
[2] - المراكشي، المعجب، ص 226.
[3] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 125.

يعود الى خلوه من الجاذبية الروحية[1]، والحواضر العلمية الفاعلة والحراك السياسي الدائم والمستمر، كما هو الحال في المشرق، إضافة الى الحركات الثقافية الدائمة والمستمرة المنبثقة عن المذاهب الدينية المتصارعة التي ساهمت على تقسيم وشرخ المجتمع بين أتباع ومرتدين، كما ساهمت المذاهب (الأحزاب) في مساعدة السلطة ومعارضتها، فأقامت دول وأنهت حقباً سياسية بفضل التيارات السياسية التي تنهل من ثراء وتراث وثقافة الأحزاب الدينية والسياسية التي يطلق عليها " جواز الحركات المذهبية"[2].

فهذا لم يكن موجوداً في الغرب من حيث المضمون، ولكن من حيث التأثير فإن أحداث المشرق السياسية والثقافية، انعكست على الطابع العام للمغرب، وتجلى ذلك في مجموعة من العوامل أهمها: المغرب بحكم بعده عن مركز الخلافة – دمشق وبغداد– أصبح يمثل المكان الأمن للمعارضة والهاربين بأفكارهم من بطش السلطة السياسية في المشرق[3] ، فوجدوا في المغرب الأمن والراحة والسند الجماهيري، فكم من أشخاص قدموا المغرب من المشرق أفراد عاديين هاربين ، عادوا الى المشرق زعماء سياسيين[4]، أو أصحاب أماكن رفيعة في دول مغربية ناهضت العداء السياسي للحكم في المشرق.

وربما يرجع السند الشعبي المغربي للمعارضة المشرقية الى سطحية الفكر المغاربي للحضارة الاسلامية في بداية عهده، ودهاء المعارضة ، فكل عاق وهارب ومفكر ماكر، يستقبله المغاربة بكل حب وتقدير واحترام، ولا يبحثون عن أصله أو فكره، فشهادة حسن سلوكه عندهم كونه مشرقي وكفى، إضافة على أن جغرافية المغرب وطبيعته لا تختلف كثيراً عن المشرق من حيث المناخ العام فالصحراء قاسم مشترك من شبه الجزيرة الى المحيط الأطلسي، وإن كانت الجبال والسهول المغربية تختلف عن طبيعة المشرق فإنها تمثل الجزء الجاذب للمشارقة في المكوث بالمغرب وتفعيل مداركهم الثقافية، بفضل الطبيعة المغربية،

[1] - محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 407.
[2] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 127.
[3] - محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 412.
[4] - المراكشي، المعجب، ص 364.

فكم من شاعر وأديب تغنى بطبيعة المغرب، وكم من طبيب وعالم أخذ مواده وأدواته العلمية من البيئة المغربية.

وفي المجال السياسي قامت دول مغربية بإسناد قيادة إدارتها الى شخصيات مشرقية عملت على فرض أفكارها وأراءها على أبناء المنطقة، وتمثلت هذه الآراء في مذاهب دينية تحولت الى حركات سياسية وانفعلت الى تيارات ثقافية في المغرب مرتبطة بالمشرق، حيث تجسد في انتقال طلاب العلم والمعرفة المغاربة الى المشرق، كما ساهم كتاب وعلماء المشرق في إدارة شؤون الدول المغربية بتأييدهم السياسي والثقافي[1].

كما ساهمت القبائل المشرقية التي رحلت الى المغرب في تعميق وشائج الأخوة بين المشرق والمغرب، وهناك بعض المستشرقين الذين اتخذوا بعض أخطاء القبائل المشرقية حجة لتعميق الهوة بين أبناء المغرب والمشرق، ويبدوا أنهم لم يجدوا أثر لهذه الخلافات في عصر أغلب الدول المغربية وخاصة عصر الموحدين الذين استوعبوا بني هلال وسليم[2] .

وشابهت سلطة الدول المغربية السلطة المشرقية، في طابع الأبهة والعظمة والهيبة، وتمثل ذلك في خروج الأمير أو الخليفة أو الحاكم أو الإمام في مواكب فخمة للغزو، أو لدى استقباله للوفود أو لدى إقامة الاحتفالات أو إحياء الأعياد والمناسبات، مع العلم أن أغلب الدول المغربية انطلقت فلسفتها الثقافية على إحياء وبعث وتجديد الدين ونشر الثقافة والتعليم، ومنافسة الدول الأندلسية والمشرقية في دفع الحضارة الإسلامية الى الأمام[3]

[1] - المقري، نفح الطيب، ص 186. و الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 18.
[2] - ارسيبارد لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة، مصر، 1957، ص 24.
[3] - ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص 138.

الفصل الثالث

دور الرحلات العلمية بين المشرق و المغرب في التبادل الثقافي

المبحث الأول

أثر الرحلات المغربية الى المشرق

المبحث الثاني

دور العلماء المشارقة و المغاربة الذين تنقل الي العدوتين

المبحث الثالث

دور الكتاب و العلماء الموسوعيين في العلاقة بين المشرق و **المغرب**

الفصل الثالث: دور الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب في التبادل الثقافي

المبحث الأول: أثر الرحلات المغربية الى المشرق:

اتصفت بلاد المغرب والمشرق منذ القِدم بالمناطق الجاذبة نظراً لتوفر العوامل الطبيعية والحضرية ، فكانت بذلك قبلة للباحثين، وتوسع العديد من المفكرين والكتاب في أسباب الرحلات وفوائدها [1]، وأنواعها فمنها السياسية، والعلمية، والتجارية والاضطرارية كالمرض ، ومنها حب المغامرة، فنجدهم ألفوا الكتب وبصموا علومهم وأثارهم وثقافتهم بها ونقلوا صوراً عن المشرق والمغرب ما يملأ النفس متعة وتأثيراً، ويجعل للرحلة سمتها وطابعها الأدبي [2]، ومن أهم المصادر التي نقلت هذه الميادين من جغرافيا وثقافة مع تناول الرحلات، وإبراز قيم الرحلة علميا، وثقافيا، وتاريخيا[3].

وقد عمل المغاربة على توسيع نشاطاتهم بالمشرق حيث لم يقتصر وجودهم على العلم والتعليم بل عايشوا زمن المشارقة من كل النواحي، فالعلم اقتصر على فئة الطلبة والعلماء، حيث كان من الواجب على المتعلم والمعلم زيارة بعض الأماكن وهي: مكة، دمشق، المدينة وبغداد والقدس ومصر [4] .

هذا ما دفع المغاربة الى التعلق بالمشارقة، وحب التعلم على أيديهم، والتعمق في فهم الحضارة الإسلامية والعلوم الأخرى، وسبب تعلقهم بهم هو تقدم المشارقة في فهم الإسلام فتعد أرضهم مهد الحضارات [5]، وعدم توفر الإمكانيات التعليمية بالمغرب دفع بالمغاربة الى الترحال والمكوث للتعلم بالمشرق ثم نقله الى المغرب.[6]

---

[1]-حسني محمود حسني،**أداب الرحلة عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1983،ص35

[2]- شوقي ضيف،**الرحلات**، القاهرة، 1956، ص، 11-25.

[3]-سليمان بن محمد الجريش،**عن أداب الرحلات**، الرياض، 1993، ص84.

[4]- صالح محمد أبو عياض أودياك،**التبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية**، مجلة الدارة، الرياض، 1987،ص 98-125.

[5]- يوسف بن علي المعريني: **الحياة العلمية في الأندلس**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1986،ص78.

[6]-حسني محمود حسني،**أداب الرحلة عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1983،ص35

ثم إن حياة المغاربة في المشرق تميزت بالرخاء والهدوء والسلام، مع توفر العوامل النفسية والمعيشية والاقتصادية في بلاد المشرق [1]، ومع كل زيارة ورحلة لبلاد المشرق حرص المغاربة على أداء الحج، وزيارة البقاع المقدسة بالحجاز وبيت المقدس، ومن هنا نستطيع القول أن المغربي استطاع التأقلم مع عوالم كثيرة من حواضر المشرق بأشياعه وتجزئته السياسية والمذهبية دون الخوض فيها.

فسهولة التواصل المغربي تجلت في تداول المعارف، والكتب، واللقاءات المباشرة، والمكاتبات، فأبدعوا في تحصيل العلم، وأخذ المعارف وعملوا على التعميق الثقافي، وكانوا أحسن رواد وسفراء من حيث الأخلاق والصدق والأمانة، ويتجلى ذلك في مشاركاتهم لشتى مجالات الحياة، حيث شاركوا في الجهاد ضد الصليبيين الذين يربطهم العداء مع النصارى حتى في بلدهم [2]، وكانت مشاركتهم بدعم مادي ومعنوي ومشاركات ميدانية، ومن أمثلة على ذلك غارة الصليب على دمشق سنة 543هـ/1149م، حيث شارك فيها العالم المغربي يوسف بن دوناس الفندلاوي [3]، الذي شارك في المعركة رغم كبر سنه ومعارضة حاكم دمشق حينها، إلا أنه أصر واستشهد بعد قتال مرير وبها دفن، وكذا الطبيب أبو بكر عبد الله بن المظفر الباهلي، الذي ساهم في التطبيب إبان المعارك ضد الصليبيين بالمشرق [4]، حيث تعلم الطب عندهم، ووفى لهم بعلمه فساعدهم، وكذلك فعل ذلك ابنه بعده فكان مسؤول عن مشفى أنشأه بدمشق [5]، ومن الأطباء المغربيين أيضا اشتهر عمر بن علي البازوخ بتصنيع الدواء وتحضيره في دمشق [6].

[1]- أبو جرير أبو الحسن بن أحمد الكناني الأندلسي، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1980، ص 257-258.
[2]-زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار المعارف، القاهرة، ص85.
[3]- هو يوسف بن دوناسبن عيسى الملقب بأبي الحجاج فقيه مالكي قدم الشام، وسكن بلدة بانياس ثم انتقل الى دمشق ودرس المذهب المالكي، أنظر: أبو شامة شهاب الدين، **الروضتين في أخبار الدولتين**، تحقيق، محمد حلمي احمد، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ج1،القاهرة،1962،ص52.
[4]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص 234.
[5]- ابن ابي صبيعة،**عيون الأنباء في طبقة الأطباء**، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1965، ص628.
[6]-نفسه، ص360.

كما ساهم أبناء المغرب في الدفاع عن بيروت ضد الصليب، ومنهم القاضي المالكي مع مجموعة كبيرة من المغاربة طلبة وعلماء كانوا بدشن [1]، وشاركوا بمعركة حطين 583هـ/1187.

ويبقى أثر المغاربة واضحا في المشرق ثقافيا وجهادياً، وجازاهم المشارقة بهذا، وهنا يبقى وفاء الأخوة ظاهرا، فنجد حارات مشرقية بأسماء المغاربة بدمشق، وبيروت والقدس.

وبعدها ناصروا صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبين حتى انتصر وقربهم إليه بالمقدس لبلائهم الحسن[2] ، وكان حي للمغاربة بالأراضي المقدسة سمي " حارة المغاربة" فكان نقطة ارتكاز للانتصار الثقافي بين المشرق والمغرب.

ولا يخفى عنا حتى في عصرنا هذا تعلق المغاربة بالقدس وبلاد المشرق ككل، حتى أن المشارقة قد أحبوا دخول المغاربة بلدهم خاصة في عهد الموحدين وقلدوهم الحكم ، نظرا لما عانوه من أزمات وغارات صليبية جعلت من المقاربة مؤنساً.

وما يؤكد أن رحلات المغاربة كانت كثيرة هو عصر الموحدين الذي انبثق فيه فن جديد في الأدب الجغرافي، وسمي بأدب الرحلات الذي بدأ مع ابن جبير، وصاحب الاستبصار، ثم ابن بطوطة والعبدري والبلوى، في الفترات التاريخية اللاحقة[3].

ومن الرحالة الى المشرق نجد ابن الرهبيل أبا جعفر بن الحسن الأنصاري، والعالم أبي بكر محمد بن علي بن ياسر الأنصاري، وأبي الخطاب بن دحية، ومحي الدين بن عربي، فكلهم ترك بصمتهم في العلم والأدب والأخلاق.

[1]- المقري، المصدر السابق،ج2، ص488.
[2]- عبد الهادي التازي، **حي المغاربة بالقدس**، مركز الدراسات الفلسطينية، م1، العدد3، 1972،ص13.
[3]- ابن خلكان،المصدر السابق، ص11.

أما المشارقة فكان الشأن نفسه من الترحال الى المغرب، فكانت السياسة والعلم والتجارة هدفهم، ونذكر منهم أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصبي البغدادي، وأبو الفتوح، وأبو اليسر ابراهيم الشيباني الرياضي[1].

وذكر ابن جبير أن رحلات المغاربة صرت المشارقة ودعمتهم، إلا أن رحلات المشارقة كانت قصيرة ومحدودة الرقعة الجغرافية، وكانت في معظمها سياسية، ولكنها ساهمت في الربط الثقافي والإتصال الحضاري بين الشعبيين، وطورت حالة المغرب من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما وضحت هذه الرحلات أن أرض المشرق والمغرب كانت تتبادل الرحلات[2].

وفي زمن الموحدين تنوعت وازدهرت المعارف في المغرب بفضل طابع الدولة الفكري وتشجيع الخلفاء للعلم وأهله، فشيدوا المدارس والمساجد والمكتبات، التي أخذت طابعها من المشرق.

ومن خلال هذه العلاقة الوطيدة كان الأثر واضحا بين المرابطين والموحدين بالمشرق، وتفاعل العلماء من خلال الرحلات والإنتاج الفكري المتداول، والتعاون الواحد ضد الصليبيين، ووحد المغرب والمشرق على راية الإسلام، وكون ذهنية التمازج الخلاق.

[1]- المقري: مصدر سابق، ج2، ص236

[2]- صالح أبو عياض: التبادل الفكري بين المغرب و الأندلس و شبه الجزيرة العربية،ص98- 125

المبحث الثاني: دور العلماء المشارقة والمغاربة الذين تنقلوا الى العدوتين:

كان للعلماء دوراً بارزا في تجسيد العلاقات وتوطيد الصلات، وتواصل الحضارة بين المشرق والمغرب، فالكثير من العلماء المغاربة اتخذوا من المشرق وعلمائه ملجأ ومتنفسا ومقاما، وكذلك شأن بعض العلماء المشارقة الذين اتخذوا من بلادالمغرب موطنا ثانيا[1].

ومن أهم علماء المغاربة نذكر: حسن بن محمد بن سلمون المسيلي المكنى بأبي علي، الذي اتصل بعلماء الشام وبغداد[2]، وأحمد بن خلوف الخياط المسيلي، الذي قصد المشرق ثم نزل قرطبة وتفرغ للعلم طوال حياته[3]، وأحمد بن حبيب المسيلي، عالم الفقه والشعر.

ومن العلماء المغاربة الذين ذهبوا الى المشرق، وكانت لهم مكانة مرموقة في الأندلس، نذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني المعروف بابن الخراز، قصد المشرق واتصل بعمر بن شبويه الماروزي، ودرس بالعراق، ومن تلاميذه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البلو[4].

وكذلك أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، قصد المشرق للعلم وعاد الى الأندلس بعدما أكمل دراسته، وكان من أكبر مثقفي عصره، ثم إن حسن بن علي بن محمد المسيلي كان من أشهر ما كتب النبراس في الرد على مبكري القياس " احاء علوم الدين" و " التذكرة في علم الأصول".

كما كان العالم أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالربعي من المغرب الأوسط، من أهم الذين لعبوا دوراً حضاريا بالمشرق، حيث درس بمصر، فكان مالكي المذهب، وأبدع في علم القراءات والنحو والنقد، وكان مدرسا بالجامع الذي درس به

[1]- ابن خلكان، مصدر سابق، ج2،ص488

[2]- ابن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص65.

[3]- ابن شكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهموأدبائهم**، نشر وتصحيح عزة العطار الحسيني، بغداد، 1955، ص66.

[4]- ابن الآبار، مصدر سابق،ص 84

علم القراءات، ووصف في كتاب ابن بشكوال على أنه كان من أهل الفضل والعلم والذكاء والحفظ فكان بحرا في العلوم[1].

وكذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري الذي تتلمذ على يد الأصبهاني، وقصد بغداد واختص بعلم القراءات واللغة،وقال عنه ابن الجزري " لا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولاقى مالقي من الشيوخ... [2] ، فعند تعلمه وتحصيله كان القشيري يراجع مسائله في النحو والقراءات ومنه يستفيد، وعين استاذا وكان ناشرا وله " الوجيز" و" المعادي" و " والكامل في القراءات" وكلها من اختصاص القراءات وعلوم اللغة[3].

كما كان الفقيه الإباضي محمد بن عبد الحميد بن مخيطر الجناوي، الذي يعد مرجعا لدى المشارقة ومفتيا لدى المغاربة، فبعد دراسته بالمشرق ساهم في نشر العلم ببلده[4].

ومن الأدباء والمفكرين أبو الحسن علي بن رشيق المسيلي، الذي تتلمذ على يد محمد بن جعفر التميمي النحوي، والقزار القيرواني [5]، ومن أهم مؤلفاته " النموذج في اللغة" [6]، و" قرصنة الذهب" و "ميزان العمل في التاريخ"[7].

وكذلك كان العالم أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر النفاشي، أثر واضح في شتى العلوم، حيث قصد القيروان ومصر والعراق وبلاد فارس، وكان قاضيا بالمشرق، ومن أهم مصنفاته: كتاب " فصل الخطاب في مدارك الحواس لأولي الألباب [8]، وهو موسوعة لمختلف العلوم والتاريخ والأدب، وقد لخصه جمال الدين محمد ابن منظور وسمى جزئه الأول"بنثار الأزهار في الليل والنهار".

---

[1]- عياض، المصدر السابق، ص127.

[2]- شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، نشره برجستراسر، مكتبة الخناجي، مصر، 1932، ص98.

[3]- صدر الدين الموفق بن احمد المكي، **مناقب الإمام أبي حنيفة**، طبعة حيدر اباد، ج2، ص 78،79.

[4]- ابن بشكوال، المصر السابق، ص 16.

[5]- ابن الخطيب، **أعمال فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما نجر ذلك من شجون الكلام القيم**، تحقيق: احمد مختاري العبادي ومحمد الكتاني، توزيع دار الكتاب، المغرب، 1964، ص93.

[6]- عبد العزيز الميني، **النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف**، دار الكتاب، القاهرة، 1955، ص18.

[7]- فضل الله العمري، **مسالك البصار في ممالك الأقطار**، تحقيق احمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924، ج2، ص293.

[8]- لخصه ابن منظور وسماه " سرور النفس بمدارك الحواس الخمس.

كما ألف التيفاشي:" قادمة الجناح في معاشرة النساء الملاح" [1]، و"سجل الهديل في أخبار النيل".

ومن العلماء نذكر أمية بن عبد العزيز، الذي برع في الطب والفلسفة والتنجيم والموسيقى والنثر والشعر [2]، ومن مؤلفاته: " الرسائل المصرية" " الملح العصرية"، "وسائل في الموسيقى"، "كتاب الصيدلة"، " ديوان الشعر"،" الأدوية المفردة في الطب"[3].

هذه مجموعة من علماء المغرب الذين تركوا بصماتهم لدى البلدان سواء من المشرق أو المغرب زمن المرابطين والموحدين، والقائمة كبيرة إلا أن زمنهم تميز بالنهوض العلمي والبزوغ المعرفي وساهموا كثيرا في إثراء العلاقة بين العدوتين من خلال رحلاتهم المتواصلة دون انقطاع.

أما علماء المشرق الذين وفدوا على المغرب، نذكر أبا الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي، من علماء الأدب والشعر، وهو صاحب الفضل في إدخال كتب الثعالبي الى المغرب، فقد نزل بجاية والأندلس[4].

ومن العلماء الذين قصدوا المغرب الأوسط ببجاية، محمد بن أحمد عبد الجليل عبد الله أبا العباس، وهو صاحب " نظم القرطين وذم أشعار الساقطين" و " التوطئة "و " صفاء الصدور".

[1]- الطاهر بن عشية، التيفاشي، مجلة الثقافة، اصدار وزارة الثقافة، العدد 2، الجزائر، 2004، ص171، 174.
[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص20.
[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص222.
[4]- ابن رشيق حسن بن علي، **نموذج الزمان في شعراء القيروان**، تحقيق وجمع محمد العروسي المطوي، نشر الدار التونسية، الجزائر، 1986، ص75.

والعالم أحمد بن الطاهر بن علي[1]، ومحمد بن الحسين بن محمد بن سعيد، المعروف بابن الفرس، ومحمد بن لب المكنى بأبي عبد الله المرسي، ويعد من أشهر شعراء المشرق بالأندلس.[2]

والعالم عبد الله بن عبد العزيز المعيطي ، الذي قدم إلى المغرب الأوسط واستقر ببجاية وتفرغ للتدريس والتعليم.

وكان عمر بن عبيد الله بن زاهر المكنى بأبي حفص، من علماء المشرق الناشط بالمغرب الأوسط ومكث بها مدرسا حتى توفي بها[3].

وممن قدم إلى المغرب من العلماء ومكث قليلا الشاعر محمد بن عيسى المعروف " بابن اللبانة " واشتهر بالأندلس، وتعرف على حكامها وأدخل الموشحات إلى بلاد المغرب، كما أن أبا الطاهر عمارة الشرين الذي اشتهر بالتوشيح كان من أحد تلامذة ابن اللبانة[4].

فهذه قائمة من علماء المشرق الذين ساهموا في إثراء العلم والمعرفة ببلاد المغرب الرحب، فكانت أجواء المغرب لا تقل شأنا عن المشرق من حيث الطبيعة والحضارة والأمة الإسلامية الفاضلة التي ساعدت على نشر المعارف والعلم بين أقطار البلدان.

[1]- عبد المنعم محمد حسين حمدي، **تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986، ص77.
[2]- محمد عبد الحليم رجب، **الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر**، إدارة الثقافة الجامعية للنشر، الرياض، 1980، ص85
[3]- محمد عبد الحليم رجب، **الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر**، إدارة الثقافة الجامعية للنشر، الرياض، 1980، ص85.
[4]- زكريا الأنصاري أبو يحي، **اللؤلو النظيم في دور التعلم والتعليم**، تعليق عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1998، ص75.

المبحث الثالث : دور الكتاب و العلماء الموسوعيين في العلاقة الثقافية بين المشرق و المغرب:

إن المعارف المتداولة منذ القدم و حتى عصرنا هذا تميزت بالتطور والتغير من عصر لآخر ففي القدم كانت الكتابة و النحت على الحجر ثم على الورق الصحف و منها المتنقلة عبر الرواية و السماع و بعدها الكتابة والتدوين على الكتب، والكتاب هو مدونة من المعلومات المجتمعة على ورق خاص بأحجام مختلفة و صفحات جديدة حسب محتوى الكتاب، فهي من عشرين إلى بعض الآلاف من الصفحات [1]، ثم صنفت الكتب حسب الاختصاصات و المحتوى.

كما أن الكتابة عرفت أنها أحسن وسائل النقل المعلوماتي بين العصور وبين الأجناس المختلفة، فهي تساعد على جعل الأفكار و الآراء أساس الصلة و الارتباط بين الناس [2] ، والكتابة تحتم على صاحبها أي الكاتب أن يلتزم بأدب التدوين، و استعمال الأساليب الملائمة مع عرض سلس للأفكار واختيار صحيح للكلمات المقبولة والمتناولة لدى طبقة المثقفين خاصة [3]، وككل العصور والحواضر اهتم المغاربة بالكتاب واعتنوا به وشاركو كتبهم أصحاب المشرق، فنقلوا وأحضروا الكتب المختلفة في ميادين الطب والفيزياء والجغرافيا والأدب وعلوم الدين عامة وساهم الكتاب بدوره في تحسين التواصل الثقافي بين الإقليمين ومن أبرز الكتب المشرقية حضورا بالمغرب نجد موطأ الإمام مالك الذي يضم علوم الفقه و أحكامها و تراتيبها [4].

[1]-إبن نديم ,الفهرست تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي ,نقديم نصر الدين حسين ,طبع بالقاهرة 1967 ص 94

[2]-إبن الدبيشي أبوعبد الله محمد بن سعيد الواسطي ,المختصر المحتاج إليه ,انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ,تحقيق مصطفى جواد ,مطبعة المعارف,بغداد 1951,ص 94

[3]-صالح أحمد العلي,التدوين و ظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأول,المجمع العلمي العراقي 1982 ,ص18

[4]-مالك بن أنس ,الموطأ, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي,دار الشعب,القاهرة1970,عياض,ترتيب المدارك,مصدر سابق,ص18.

و كان مرجع التراجي للنحويين واللغويين في عهد أبي الأسود الدؤولي، حتى عهد أبي عبد الله الرياحي وهو كتاب أبي بكر الزبيدي سماه طبقات النحويين و اللغويين مصدرا ومرجعا تدارسه العلماء و نقلوه في كتبهم بعده [1].

وكذلك كتاب "الأشباه و النظائر في الآيات القرآنية" لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النعالي شارحا و مفسرا للمعاني و الألفاظ وسميت الأولى بالوجوه والأخرى بالنظائر [2] ، أما كتاب "العقد الفريد" لحمد عمر بن عبد ربه فقد اخترق أفاق المغرب و المشرق شهرة ،وكثر تداوله وذاع صيته الشعبي، فأصبح من كتب الثقافة العامة الأكثر شيوعا وعرف به حمد بن عبد ربه، وميوله وثقافته [3].

وكتاب "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" لأحمد بن محمد بن يعقوب، وعبر الكتاب عن عصره تماما، فصور الترف بين المشرق والمغرب عند الأمراء، وتعاسة بعض الرعايا [4].

وكتاب "الحاوي" لأبي حسن علي بن حبيب الماوردي الشافعي الذي يصف فيه مذهبه واحتل الكتاب مكانة مرموقة بين العلماء ويعد من أشهر الكتب ومصادر الشافعية [5] وكتابي فتوح البلدان وانساب الأشراف لابن الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي وتعد الكتابات من أهم المصادر في تاريخ الحضارة الإسلامية لصحة روايات ومصداقية أصحابها [6]

-ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي,طبقات النحويين و اللغويين,تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم,الطبعة الأولى,دار المعارف,القاهرة 1954,ص90.
[2]-الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد,يتيمة الدهر,الطبعة الأولى,مطبعة الصاوي,القاهرة 1934,ص85.
3-ابن الدلائي,احمد بن عمر بن انس العذري,نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار,تحقيق عبد العزيز الأهواني,معهد الدراسات الإسلامية,مدريد1965,ص184.
4-ابن بشكوال-أحمد بن محمد,كتاب تجارب الأمم,مطبعة شركة التمدن الصناعية,مصر 1951,ص184.
5-كتاب الحاوي تحقيق علي محمد عوض- و عادل احمد عبد الجواد,نشر دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان 1984.
6-البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر,فتوح البلدان,تحقيق صلاح الدين المنجد,مطبعة لجنة البيان العربي,القاهرة 1965.

1-حقق الكتاب سعيد عبد الكريم سعودي و قدمه نصر الدين حسين
2-الكعاك,موجز التاريخ العام للجزائر,ص283-285.

ويعد كتاب الحلل في إصلاح الخلل لأبي محمد بن عبد الله بمحمد بن السيد البطليوسي من اشهر كتب الطابع اللغوي والنحوي بالأندلس [1]

أما كتاب منامات الوهراني ومقاماته ورسائله اعبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الكاتب الدي سافر إلى المشرق ومن مصر ودمشق وبغداد وصقلية وتميزت كتبه وأرؤه بالسخرية فكان يستعمل سلاحه هدا لتقويم البخلاء و الجاهلين والمنحرفين مع إستعمال عالم الخيال وعالم الجن والشياطين وكان بعض الكتاب والعلماء مختصين في مجال محدود كعالم النحو والصرف عالم القراءات والجغرافيا و الطب وغيرها إلى أن بعضهم عمل على توسيع علومه ومعارفه في مجالات كثيرة وجوانب فكرية عديدة فسمي بالموسوعي ومن أشهر الموسعين نجد: أبو عبد الله محمد بن حماد بن عيسى الصنهاجي من قبيلة صنهاجة [2] الدي تلقى العلوم القرآنية من قراءات وتجويد وتفسير ودرس الحديث وعلومه وقد تنقل بين الأندلس وتلمسان ويعد من أحسن علماء عصره وشعرائهم وتميز شعره بالدقة والرقة وكان يرثي ويصف بصدق كما له مؤلفات منها شرح مقصورة ابن دربه النبدة المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية الدي كان محط اهتمام المستشرقين وترجمتهم له

3-موسى الأحمدي نويرات,المتوسط الكافي عن علم العروض و القوافي,ط2,بيروت1969,ص334.
4- رابح بونار,القاضي السعيد العقباني,الاصالة1973,ص269.

أبو الفضل يوسف ابن محمد المعروف بابن النحوي [1] الدي امتاز بالأسفار الكثيرة إلى المشرق ومصر وقصد سلجماسة عام 494هـ وأخد منها أصول الدين والفقه [2] وقد سلك أبو الفضل منهج الغزالي في دراسته لكتاب الأحياء وهدا يظهر من خلال أسلوبه ودعائه المنقول من الغزالي في الأحياء [3]

أبو حامد أحيا من الدين علمه *** وحدد منه ما تقادم من عهده

ووفقه الرحمن فيما أتى به *** وألهمه فيما أراد الى الرشد

ففصلها تفصيلها فأتى بها *** فجاءت كما مثال النجوم التي تعدي [4]

وقد وصف أبو عبد الله محمد الصنهاجي انا الفضل يرفعه المنزلة ومشابهتها للغزالي فقال كان أبو الفضل من النحوي في بلادنا بمنزلة أبي حامد الغزالي في العراق علماء عملهم [5] ثم إن الفضل شمل علوما مختلفة في الفقه و الأصول والأدب والشعر ويعرف عن شعره قصيدة المنفرجة التي شاعت بالمشرق و المغرب ونسبت إليه في القطراني فيقول

إشتدت أزمة تنفرجي *** قد أدن ليلك بالبلح

وظلام الليل له سدج *** حتى يغشاه أبوالسدج

وسحاب الخيرله مطر*** فإدا جاء الأبان تج

وفوائد مولانا جمل *** لسروح الأنفس والمنهج

ويعد أبا يعقوب يوسف بن أبراهيم الورجلاني من أعلام عصره فقد رحل إلى الأندلس ودرس

1-الميلي,تاريخ الجزائر في القديم و الحديث,ص217

2-الأصفهاني,العماد محمد بن محمد,خزيرة الفضر و جريدة العصر قسم شعراء المغرب,تحقيق محمد المرزوقي-محمد العروسي المطوي-الجيلالي بلحاج يحيى,الدار التونسية للنشر و التوزيع,تونس 1966,ص326.

3-رابح بونار,المغرب العربي-تاريخه و ثقافته,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع1981,ص269.

4-العدوي إبراهيم أحمد,بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي و العربي,مطبعة الأنجلومصرية,القاهرة1970,ص305.

5-رابح بونار,المصدر السابق,ص274.

بقرطبة [1]ودلك زمن الموحدين وبرع في علوم اللسان و الحديث والقرآن و التنجيم ثم رحل إلى المشرق للحج وزيادة التعلم وله من ثتى العلوم معرفة وأهم مصنفاته الدليل لأهل العقول وكتاب العدل والإنصاف [2] وكتاب مرج البحرين في الفلسفة والمنطق والهندسة [3] وكتاب التاريخ فتوح المغرب وينسب إليه تفسير القرآن حتى سبعين جزء وألفه من أسفاره.

كما تنسب إليه قصيدة الحجازية وهي مخطوط توجد بها نسخ بمنطقة بني مزاب بالجنوب الجزائري وبها 360جزء ومما قال فيها :

خرجنا توأم الشرق من حيز وارجلان *** يفتيان صدقا من وجوه العشاق [4]

ويبقى أبو محمد عبد الحق البجائي نسبة الى بجائه [5] الإشبيلي المولد والأصل من أهم الموسوعيين المغاربة فقد صنف الدواوين و ألف الكتب و الخطب واشتهرت كتبه بالمشرق،

ونقل منها العديد [6] وعرف بعلمه للحديث والفقه ومن أشهر كتبه المعتل من الحديث وبيان الحديث في قدر صحيح مسلم وكتاب الصلاة والتهجد وكتاب الواعي في اللغة وكل العلماء والكتاب والموسوعين سواء من بلاد المغرب في عصر الموحدين والمرابطين وعلماء المشرق من عباسيين ومواليهم كان لهم الأثر الواضح في أغلب جوانب الحياة الفكرية و الثقافية والاجتماعية وكل منهم أثر بفكره وجهوده وقلمه وعلمه في أبناء عصره و أثناء تنقله من بلد إلى بلد الرقي الحضاري سمة والنهوض العلمي هدفا بينهم وبهده الثقافة استطاع أبناء العرب السير من عصر النور كما سماه المستشرقون[7]

[1]- طالبي عمار,آراء الخوارج الكلامية ,ج1,الموجز لأبي عمار الكافي الإباضي,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع1978,ص 217.
[2]- طالبي عمار, المصدر السابق, ج1, ص217.
[3]- طالبي عمار, المصدر السابق, ص 216.
[4]- الجيلالي,عبد الرحمان محمد,تاريخ الجزائر العام,منشورات دار مكتبة الحياة,بيروت1965,ص83.
[5] -الغبريني, أبو العباس أحمد بن أحمد,عنوان الدراسة فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية,تحقيق رابح بونار,الشركة الوطنية للتوزيع و النشر, الجزائر1981,ص74-74.
[6]- الغبريني, نفس المصدر السابق,ص75,
[7] -ابن الآبار, التكملة,مصدر سابق,ج1,ص518.

الفصل الرابع

أهم العلوم العقلية و النقلية التي ظهرت في الدولة المرابطية و الموحدية

المبحث الأول

العلوم العقلية

المبحث الثاني

العلوم النقلية

الفصل الرابع: أهم العلوم العقلية و النقلية التي ظهرت في الدولة المرابطية و الموحدية:

المبحث الأول: العلوم النقلية (الدينية):

لعبت الدعوتان المرابطيةوالموحدية دورًا هاماً في تغير وجه الحياة بالمغرب، حيث ترتب عن قيام هذه الدعوة وجود ثقافات وعلوم درست في هذه الفترة ومن أهمها:

علم القراءات: يعتبر علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية، باعتباره أول محاولة في تفسير القرآن الكريم، وقد ألف العلماء في هذا العلم الكثير من المصنفات، واشتهر المغاربة بقراءة نافع[1] ، ومن اشهر من عايشوا الدولة المرابطية في علم القراءات أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي في كتابه الروضة، وأبو عمر الدافي في كتابه التسيير في القراءات السبع وغيرهم من العلماء الذين برزوا[2] ، وكان المغرب الموحدي من أشد الأقطار الإسلامية اهتماما بهذا العلم، وقد لقي عبد الله الونشريسي الذي برع في هذا المجال احترام وإعجاب الناس بقراءته[3] للقرآن قراءة حسنة، ووضع المهدي محمد بن تومرت نظاما يوجب شخصية الفقيه[4]، فكان عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح والمغرب قراءة مرتلة[5]، وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراءة، وكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم[6] .

---

[1]– الحافظ ابن الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجرزي، **النشر في القراءات العشر**، مراجعة وتصحيح علي محمد الصباغ، ج1، مطبعة مصطفى محمد، بدون تاريخ، ص35.

[2]– عياض، المصدر السابق، ص170.

انظر كذلك محمد بن سحنون، **كتاب أداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الجزائر، 1965،ص37.

[3]–عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الإستقامة ، القاهرة،ط1،ص178.

[4]–ابن الأثير، المصدر السابق، ص199.

[5]– عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ج9،ط2 ص155. ائش

[6]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص143.

التفسير: زاد الإقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول في الدولة المرابطيةوالموحدية، ويعد التفسير الخطوة الثانية بعد القراءات الصحيحة للقرآن الكريم، ومن هنا أقبل عليه العلماء بالدراسة والبحث، ومن العلماء أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي المفسر نزيل مراكش، وكان عالماً زاهداً، يجتمع إليه الناس فيفسر القرآن من أوله الى أخره[1]، وأبو بكر محمد بن علي المعاغري السبتي، المعروف بابن الجوزي[2]، وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي وله تفسير القرآن، [3]، ومن المؤلفات في التفسير تفسير أبي بكر بن الجوزي السبتي[4]، ومن التفسيرات التي اعتنى بها المغاربة كتاب الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية المغاربي، الذي ألف كتاب فيه لخص التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب الى الصحة وجمعه في كتابه هذا[5].

وعلى الرغم من أن الموحدين تبنى أوائلهم الفكرة المهدوية الشيعية، وتأثر مذهبهم التوحيدي بآراء المعتزلة، إلا أن ذلك لم يخرجهم من المذهب السني مطلقاً[6]، ومن أبرز المفسرين أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني، الذي ألف تفسير القرآن في سبعين جزءاً، ومحمد بن يخلف بن يوسف بن حسون، وموسى بن الحاج بن أبي الأثيري، وأبو الوليد يزيد بن الحسن بن عبد الرحمن وغيرهم من المفسرين الذين كانوا يحجون إليهم العديد من الطلبة والناس[7] .

علم الحديث والفقه: لقد نال علم الحديث والفقه عناية فائقة من ولاة الأمر، وهو المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المرابطون والموحدون في أحكامهم، وكان موطأ الإمام مالك في

---

[1]– كنون، **النبوغ المغربي**، ج1، ص، 88.

[2]– المنوني، **العلوم والأدب**، ص 440.

[3]– كنون، المصدر السابق، ص 95.

[4]– ملين، **عمر المنصور الموحدي**، ص 247.

[5]– كنون، المصدر السابق، ص، 105.

[6]– عبد الله علي علام، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، ط1، دار المعارف، مصر، 1971، ص، 297.

[7]– محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 166، 168.

الدولة المرابطية قد انتشر واعد في انتشاره الحكام واستندوا إليه في الحديث[1]، ولما قامة دولة الموحدين صار لعلم الحديث شأن كبير حيث اهتم به الخلفاء اهتمامًا كبيراً، وكان عبد المؤمن بن علي من المتبحرين في الحديث، وكان ابنه يوسف مجتهد في طلب الحديث من خلال إشرافه على جمع أثار المهدوية والفقه، ليكون من المحدثين من خلال كتابه أعز ما يطلب[2]، وبعد وفاة ابن تومرت أصدر عبد المؤمن بإسراف كل كتب الفقه التي بها خلافات وجمع الناس الى كتبه الموطأ على غرار كتاب موطأ الإمام مالك الذي أحرقوه[3].

وظهرت في عصر علي بن يوسف جمهور كبير من أعلام المحدثين، والفقهاء نذكر منهم: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد فاضي الجماعة بقرطبة، الذي كان من أعلام الفقه المالكي، وقد برع في علم الفرائض والأحوال، ومن أشهر مؤلفاته كتاب المقدمات الأوائل وكتاب المدونة[4]، والقاضي الفقيه أبو علي الصدفي وأصله من مدينة سرقسطة، حيث تلقى علومه الدينية في الأندلس ثم المشرق ثم جاء الى المغرب الأوسط، حيث توافد عليه طلاب العلم من مختلف أنحاء المغرب والأندلس[5].

كما برز في ميدان الفقه والحديث القاضي عياض، وكذلك القاضي أبو بكر بن العربي، أعظم فقهاء المغرب والأندلس في عصر المرابطين، وكان عالماً حافظاً وتولى القضاء، ومن أشهر كتبه أنوار الفجر[6].

ومن أشهر فقاهتهم القاضي عياض ولي الفقهاء، وهو بعد شاب لم يتجاوز ثلاثين من عمره، فكان من المتمسكين بتطبيق الأحكام والحدود، ثم تولى القضاء، وكان من كبار

---

[1]– علام عبد الله، المرجع السابق، ص 308.

[2]– علام عبد الله , المرجع السابق، ص 314.

[3]– ابن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، ج2، ص 576، 577.

[4]– الفبي، **بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس**، القاهرة، 1988، ص 51

[5]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 144، 146.

[6]– عنان، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القاهرة، 1964، ص 456.

علماء مذهب مالك ابن أنس[1]، وله كتاب بعنوان ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك[2]، ومنهم أيضا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي حقون، وله مختصر في أصول الفقه سماه بالمقتضب الأصفى من أصول المستصفى[3]، ومنهم أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد بن عمر اللفي المعروف بالرشاطي، وكانت له عناية بالحديث، والرجال والتواريخ، وله كتاب سماه اقتباس الأنوار وشماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الأثار[4]، ومنهم أيضاً أبو عبد الله بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري الذي صنف كتاباً في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم[5]، وأبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن محمد الخزرجي، وقد ألف كتاباً في أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم، سماه " أفاق الشموس وأعلاق النفوس"[6].

و رغم ذلك تبقى القائمة طويلة في لذكر الأعلام الذين برزوا في الفقه والحديث.

ولم يزل علماء المذهب المالكي في المغرب يتعاهدون هذه الكتب بالشرح والإيضاح والجمع والاختصار، فكتب أهل المغرب عن المدونة، وجعلوها محوراً لأبحاثهم في الفقه المالكي، وعملوا جاهدين على ترسيخ مفاهيمه في جميع المناطق التي خضعت لنفوذهم السياسي، حتى صار أكثر رسوخاً، وجعلوا المغرب تحت مذهب واحد وهو المالكي، وقاموا بتدريس الفروع التي يتناول في طياتها الفقه العملي، وقاموا بتدريس الأمم كتاب الموطأ ومن كتب الفروع المالكية التي كانت معتبرة في هذا العهد، مدونة سحنون وتسمى المختلطة،

---

[1]- ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، لبنان، 1994، ج1، ص 469.

[2]- ابن الأبار، **المعجم في اصحاب القاضي الإمام أبو علي العرفي**، القاهرة، 1967، ص 300.

[3]- ابن بشكوال، **الصلة**، ج1، ص 298

[4]- ابن الأبار، **التكملة**، ج1، ص85.

[5]- ابن الزبير، **صلة الصلة**، تحقيق ليفي بروفينسال، المطبعة الإقتصادية، الرباط، 1938، ص 3.

[6]- ابن بشكوال، **الصلة**، ج2، ص 682، 683.

وكتاب التهذيب للبرادعي، والواضحة لابن حبيب، وما جانس ذلك من كتب الفروع[1]، وكان الفقهاء في المجتمع المغربي يتمتعون بمكانة طيبة، لكن هذه المكانة لم تصل الى التي يتمتع بها الفقهاء في مجتمع المرابطين[2]، كما كان أغلب الفقهاء ذوي مروءة وورع وعزة نفس، لا يتملقون مع ذوي السلطان إكراما لنفوسهم واحتراما للعلم، وحفظا لدينهم، واقتداءً بالسلف الصالح، ومنهم القاضي عياض[3].

علم الكلام: كان المغرب الاسلامي قبل دعوة ابن تومرت يسير على المذهب الذي ينهد لتأويل[4]السلف الصالح و يمقت علماء الكلام بالمغرب الأوسط، المتشابه من القرآن الكريم، و من العلماء الذين اهتموا بعلم الكلام بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين محمد بن ابراهيم المهدي من تلقنه بعد رحلته إلى المشرق ثم عاد ليدرس بالمغرب ثم بجاية[5].

فلم ينل علم الكلام عناية أو رعاية خلال الحكم المرابطي باعتبار أن المرابطين كانوا يتخذون طرق السلف منهجا و مسلكا و بالتالي فإنهم لم يميلوا إلى الخوض في علم الكلام فضلا عن تشجيع دراستها و كانوا يتهمون كل من يخوض في علم الكلام بالكفر، و قرر الفقهاء عند ولاة المرابطين بتقبيح علم الكلام[6]، و أنه بدعة في الدين، و ربما أدى أكثره إلى إختلال العقائد، و من ثم أمروا الناس في كل مكان نبذ الخوض فيه[7]، إلا أنه بالرغم من ذلك، وجد من درس هذا العلم و هو أبو بكر محمد بن الحسن الخضرمي المعروف بالمرادي و هو أول من أدخل علوم الإعتقادات بالمغرب الأقصى و مات سنة 489هـ[8] ، و قد درس

---

[1]–ابن خلدون: **المقدمة** – ط 5 – ص 458 .

[2]– علام عبد الله علي: المرجع السابق ص 305– 306.

[3]– المراكشي: **المعجب**– ص 176.

[4].–إبن خلدون: المقدمة–ط5–ص458.

[5] – علام عبد الله علي: المرجع السابق ص 305– 306.

[6] – المراكشي: **المعجب**– ص 176.

[7]– ابن المؤقت: **السعادة الأبدية** – ج2– ص121.

[8] – ابن المؤقت: المرجع السابق– ج2– ص 123.

على يديه أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الغرير أصله من سرقسطة، و سكن مراكش حتى عاد ابن تومرت و أعلن حربه على علماء المرابطين و دعا إلى دراسة علم الكلام، و دعاهم إلى تأويل المتشابه من الأيات، ثم ألف لأتباعه كتابا في التوحيد و أخر في العقيدة[1].

و أصبح لعلم منزلة في الدولة نتيجة لاهتمام ولاة الأمر بذلك، و ممن في هذا العمر في هذا العلم أبو عثمان بن عبد الله السلاجي أمام أهل المغرب في علم الإعتقاد، و قد استوطن بفاس و قد ألف البرهان في المذهب الأشعري[2]، و منهم أيضا محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني، كان إماما في علم الكلام، و قد عكف على تدريسه طول حياته[3]

علوم اللغة العربية و آدابها:

انتشار اللغة العربية صاحب نمو الحركة الفكرية بالبلاد إذ أنها لغة المكتبات و اللغة الرسمية للبلاد في معاملاتها و شؤونها، و زاد من انتشارها أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد، و الذين أثروا الحياة الفكرية بدروسهم و مؤلفاتهم، و كانت ثقافة ولاة الأمر تقوم على الثقافة الإسلامية و وسيلتهم في ذلك اللغة العربية، كما كانت تدرس العلوم الدينية و القرآن الكريم باللغة العربية، و ازدهرت الحرمة الأدبية في دولة المرابطين في عهد الأمير علي بن يوسف الذي اهتم بالشعر و الأدب العربي و شجع الشعراء و الأدباء و العلماء على اثراء النحو و علوم اللغة و نذكر منهم: أبا محمد عبد الله بن السيد البطليوس النحوي, و كان حجة في علمه عالما متبحرا في النحو و علوم اللغة، و كان الناس يجتمعون إليه و يقرأون عليه، و من مؤلفاته كتال الإقتضاب في شرح أدب الكتاب [4] ، و من الأئمة اللغويين و أعلامهم في عصر علي بن يوسف، أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري النحوي،

[1] – النويري: **نهاية الأرب**– ج2 مجلد 2– ص85.

[2] – النويري:نفس المرجع – ص90.

[3] – ابن بشكوال: **العلة**– ج1 ص 296.

[4] – إبن الآبار: **التكملة**– ج1– ص185.

و قد كان من أهل المعرفة بالأدب و اللغة[1]، و أبو الفضل عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النحوي المعروف بابن أحمد، و اتسعت دائرة انتشار لغة الضاد بالمغرب الأوسط تحت حكم الرستميين و الحماديين ز من بعدهم المرابطين و الموحدين[2] ، و قد ساعدتهم عدة عوامل منها أن اللغة العربية جزء من الإسلام الذي هو عقيدة المغاربة، و اهتم كذلك المغاربة بأحد فنونها و هو الأدب الذي عرف بأنه كل ما صاغه الإنسان في قالب ليوصله إلى الذاكرة [3] ، و يرى ابن خلدون أن هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارض أو نفيها، و إنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته و هي الإجادة في فن المنظوم، و المنشور على أساليب العرب و مناهجهم[4].

و قد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدولتين المرابطية و الموحدية، كان للأدب بفنيه سواء الشعر و النثر، أن يشغل حيزا كبيرا من الناحية الفكرية و العقلية به، فكان الأدب شعرا أو نثرا أن يحترم من كل الطبقات و خاصة الحكام و الوزراء و حتى عوام المجتمع[5] كما حظي الشعراء في هذا العصر بمكانة عظيمة لدى أمراء الأسرة الحاكمة و كبار القادة و عمال الدولة على الأقاليم المختلفة، و من هؤلاء الأمير أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي كان قصره محطة أنظار الشعراء، نذكر منهم الشاعر الأندلسي الكبير ابن خفاجة الذي مدح بن أبو إسحاق[6]، و هكذا تألقت سماء الشعر و الشعراء في هذا العصر، الذي أصبح يصارع عصر ملوك الطوائف بالأندلس، فقد وجد الشعر في بلاط أمير

---

[1] – ابن بشكوال: مصدر سابق– ص299.

[2] – بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية**, عبد الحليم النجار– الطبعة 4– دار المعارف– القاهرة 1959– ص3.

[3] – ابن خلدون: **المقدمة**– ج1–1069.

[4] – الكعاك: **بلاغة العرب في الجزائر**– ص31.

[5]– الكعاك: **بلاغة العرب في الجزائر**–ص31–32.

[6] – ابن الخطيب: **الإحاطة**– ج2– ص478.

المسلمين و أمراء و فقهاء و عمال الدولة المرابطية ما عوضهم عما فقدوه بعد سقوط دويلات الطوائف، بل أن بعض أمراء المرابطين قد فاق في كرمه على الشعراء في هذا العصر[1].

أما فيما يتعلق بالنثر، فقد كان مرتبطا بالشعر ارتباطا وثيقا، إذ كان الشعراء يجيدون الكتابة نثرا كنا كانوا يجيدون النظم نثرا و يتمثل النثر في الرسائل الديوانية، و في الرسائل الإخوانية، و الرسائل العلمية ذات الصيغة الأدبية [2]، و يتميز هذا النوع من الكتابة بالإسراف في استخدام المحسنات البديعية كالسجع و الجناس[3]، و من أشهر كتاب المرابطين إبن خاقان، و ابن عبدون، ابن الجد، و ابن الأزرق القرطبي، الوقسي، الشلطيشي[4].

و اعتنى الموحدون بالعلوم اللسانية خاصة ابن تومرت الذي اهتم بها، و انتشرت اللغة العربية لكونهم درسوها في المشرق العربي و جاءوا بها إلى المغرب، و اعتبروها لغة البلاد الرسمية[5]، و كان بمجيء العلماء إلى المدن المغربية دور كبير في انتشار اللغة العربية و ازدهارها، و هذا راجع كله إلى جهود الفاتحين الأوائل، و المسلمين الوافدين إلى المغرب[6]، كلهم ساهموا في نشر تعاليم اللغة العربية في أوساط المغاربة.

---

[1] – ابن دحية: **المغرب من شعراء أهل المغرب**– ص 112.

[2] – ابن خفاجة: **الديوان**– ص290.

[3] – سعد اسماعيل شلبي: **دراسات أدبية في الشعر الأندلسي**– القاهرة– 1973– ص 167.

[4] – ابن خفاجة: **الديوان**– ص292.

[5] – المغرب الأوسط: مجلة الحضارة الإسلامية– العدد الأول 1993–ص37.

[6] – رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه ثقافته**– ط3– دار الهدى– عين ميلة– الجزائر– 2000–ص94.

المبحث الثاني: أهم العلوم العقلية:

لقد لعبت العلوم العقلية دوراً هاماً في المغرب في عهد الدولتين المرابطيةوالموحدية، باعتبارها ضرورية لتحقيق التقدم وتحقيق أسس قوية لبناء الدولة، ومن الملاحظ أن هذه العلوم لم يكن أصحابها منفعلين انفعالا تاماً مع العلوم الدينية والأدبية على الرغم من ظهور ما يسمى بالتخصص، ولذلك برز الكثير من العلماء في مختلف العلوم العقلية نذكر منهم:

علم التاريخ والجغرافيا: برز في عصر المرابطين عدد كبير من أعلام الرواية والكتابة التاريخية نذكر في مقدمتهم، أبو زكريا يحي بن محمد بن يوسف، كتب عن الأمير تاشفين بن علي بن يوسف أيام كان واليا على الأندلس[1]، وألف في تاريخ الأندلس في عصر المرابطين، كتاب سماه " الأنباء وسياسة الرؤساء" وهما مؤلفات لم يصلا إلينا، ولم يصل إلينا من مؤلفه الأول سوى شذور، نقلها المتأخرون مثل ابن الخطيب، وخاصة روايته عن غزوة الغونسو[2]، وهناك أيضاً أبو الحسن علي بن بسام الشتريني، صاحب كتاب " الذخيرة في محاسن الجزيرة" وهذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية يتضمن تراث القرن الخامس للهجرة[3]، وأبو عبد الله محمد بن الحسن بن اسماعيل الصفي، ويعرف بابن علقمة، وكان من مؤلفاته " البيان الوضح في الملل الفادح[4]، وابو طالب عبد الجبار عبد الله بن أحمد بن أصبغ وله كتاب يسمى " عيون الإمامة ونواظر السياسة"[5]، وأبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي المعروف بالساطى وفد، ألف كتاب في التاريخ سماه " دور القلائد وغرر الفوائد"[6]

---

[1]– ابن الزبير، المصدر السابق، ص 182.

[2]– عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964، ص 444.

[3]– ابن الزبير، المصدر السابق، ص 182.

[4]– ابن الأبار، التكملة..، ص 411، 412.

[5]– ابن بشكوال، الصلة..، ص 379، 380.

[6]– ابن الأبار، المصدر السابق، ص 495

وأبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيعي والمعروف بابن خاقان، ومن مؤلفاته كتاب " قلائد العقيان في محاسن الأعيان" وكتاب " مطمع الأنفس ومسرح ...."

وكتاب " رواية المحاسن وغاية المحاسن"[1]، وأبو القاسم خلف بن عمر الملك، ويعرف ابن بشكوال، وكان من أعلام المؤرخين في عصر المرابطين، وأشهر مؤلفاته كتابه المعروف بالصلة، الذي جعله تتمة لكتاب ابن الغرضي في تاريخ علماء المغرب والأندلس، وله عدة مؤلفات في تاريخ الدولة المرابطية والأندلس[2]

وفي مجال الجغرافية نبغ عدد من كبار جغرافي المغرب، في عصر علي بن يوسف نذكر منهم: الشريف أبو عبد الله محمد الإدريسي صاحب كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" ولذا يعرف هذا الكتاب في كتب العربية باسم الكتاب الرجاوي[3]، وكذلك عبد الله بن ابراهيم بم وزم الحجازي، صاحب كتاب " المسهب في غرائب المغرب" [4]، وقد اتخذ بنو سعيد كتابه اساساً لكتابهم المعروف باسم " المغرب في حلى المغرب"، ويقول الدكتور حسين مؤنس في كتاب المسهب " يندر أن نجد مؤلفا متب بعد الحجازي دون أن يشير إليه مما يدل على أن كتابه كان مرجعاً وحجة، وأنه أضاف للمكتبة المغربية والأندلسية شيئاً فريداً تميز به عمن سواه، مما جعل الرجوع إليه والأخذ به ضرورة لكل من تعرض للتأليف في أدب المغرب والأندلس، وجغرافيته وتاريخه[5].

ولقد اهتم الموحدون بالتاريخ ومن أشهر المؤرخين في التاريخ نذكر: البيدق أبو بكر الصنهاجي، من المغرب الأوسط الذي أدرك الدولتين المرابطيةوالموحدية، ورافق محمد بن تومرت أثناء عودته الى المغرب من المشرق، وألف كتابه الذي وصف فيه الرحلة وتضمن

[1]– ابن الأبار، المعجم...، ص 313.

[2]– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 304، 308.

[3]– سالم عبد العزيز، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، الإسكندرية، 1966، ص 112، 113.

[4]– حسن مؤنس، الجغرافية والجغرافيون ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1960، مج8، ص 243.

[5]– نفسه، ص 244.

بعض أخبار المهدي بن تومرت[1]، والمؤرخ أبو علي الذي ولد بتلمسان في عهد يوسف، وله مختصر في التاريخ سماه " نظم الفتوح"[2] ويوسف الورجلاني صاحب كتاب " فتوح المغرب"[3]، ويذكر ابن الأبار ان العزيز بن المنصور بن الناصر قد ألف له حماد بن ابراهيم بن أبي يوسف المخزومي كتاب في التاريخ[4]، أما في الجغرافيا فتذكر بعض من هؤلاء الذي عاقته الأقدار عن أداء فريضة الحج، الإمام أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي، أتصفته ببجاية فاستوطن المدينة، وتفرغ لنشر العلم وتأليف الكتب[5]، ومن الرحالة بالمغرب الأوسط فكون[6]، وأبو علي حسن بن علي الذي رحل الى مراكش وكتب حول سفره الى مراكش[7].

ورغم ذلك فإن علم التاريخ والجغرافيا لم يحظى بعناية كبيرة كتلك التي ولاها المغاربة لعلوم الدين، واللغة والأدب، ذلك لأن فترة التاريخ الوسيط في المغرب كانت فترة ترسيخ العربية والإسلام.

الطب والصيدلة: في عصر علي بن يوسف تقدماً تشهد به الأسماء والأعلام التي تألقت في حضارة المغرب، وأشهرها بن زهر وهو اسم طبيب أندلسي من أعظم أطباء الإسلام ممن تركوا بصماتهم واضحة في المغرب[8]، وقد خلفه من بعده ولده أبو العلاء زهر بن عبد الملك وقد ورث عن أبيه تفوقه ونبوغه في الطب، وحظي بمكانة عظيمة لدى الدولة المرابطية،

---

[1]– رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000، ص 240.

[2]– محمد الطمار، المرجع السابق، ص 170

[3]–العدوي، التاريخ الإسلامي والعربي للجزائر، ص 205.

[4]– ابن البار، التكملة، ج1، ص 127.

[5]– عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص77.

[6]– محمد الطمار، المرجع السابق، ص 171.

[7]– رابح بونار، المرجع السابق، ص 245.

[8]– خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رصافي، جزاءان في مجلد، بيروت، 1965، ص 518.

ومن مؤلفاته كتاب " الخواص" وكتاب " الأدوية المفردة"، وبعد وفاته أمر علي بن يوسف بجمع كل مؤلفاته ووضعها في مراكش وسائر بلاد الأندلس[1]، وقد خلفه ولده أبو مروان عبد الملك بن زاهر المعروف في المغرب باسم أفنزور وقد برع في الطب براعة أبيه وجده؟، ولم يكن في زمانه من يماثله أو ينافسه في مجال الطب، وكانت له مكانة لدى حكام المرابطيين، فقد صنف للأمير أبي اصعف ابراهيم بن يوسف بن تاشفين كتاباً سماه " الاقتصاد في صلاح الأجساد"، ومن مؤلفاته أيضاً " التيسير في المداواة والتدبير"[2]، ويعد هذا الكتاب من أعظم المرجع في الطب في العصور الوسطى، وله كتاب "الأغذية"، ومقالة في علل الكلى[3]، وبعد وفاته خلفه في مهنته ولده الطبيب الشهير أبو بكر بن زهر الذي حظي بمكانة عظيمة في الدولة الموحدية[4]، ومن الأطباء الذين برعوا عصر علي بن يوسف أبو عامر محمد بن محمد أحمد بن عامر البلوي، وله في الطب كتاب سماه " الشفا"[5]، وأبو عامر محمد بن يحي بن محمد بن خليفة بن ينف، وكان قد لازم أبا العلاء بن زهر وأخذ عنه في الطب[6]، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي السعدي[7]، وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن جوشن الأزدي وغيرهم[8]، ومما يؤكد اهتمام المرابطين بالطب ، وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية[9]، وهو منصب هام كان يقابل ما يطلق عليه اليوم اسم وزير الصحة، إذ كان فيما يبدو المسئول الأول أمام الأمير عن صناعة الطب وما يتعلق بها من الأدوية والعقاقير، ولقد بدأت النهضة الطبية في عهد عبد

[1]– عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 483.

[2]– ابن الأبار، التكملة، ص 334.

[3]– ابن عبد الملك المراكشي، التكملة، ص 18، 19.

[4]– ابن الأبار، المعجم، ص 168.

[5]– ابن الأبار، المصدر السابق، ص 290.

[6]– ابن أبي اصبيعة، المصدر السابق، ص 517، 518.

[7]– ابن الأبار، المعجم، ص 169

[8]– ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 516.

[9]– ابن الأبار، المعجم، ص 295

المؤمن بفضل طبيبه الخاص أبي بكر ابن زاهر الذي يعتبر أعظم الأطباء، وقد بنو مستشفى في مراكش[1]، ويقول الإدريسي عن وجود مجموعة من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب بجبل معيون شمال بجاية، مثل الحضن والسقلنفد، الديون، البيروماريس، والقنطوريون، الزروانة، والقسطون، والأفسنتين، وغير ذلك من الحشائش[2]، وأيضا ذكر عن استعمال نبات يسمى الغوليون، يشربه أهل المناطق الصحراوية تحصناً من لسع العقارب طوال العام.

وهذا ما يوحي بوجود اهتمام بالطب، ومازال موجود الى وقتنا الحالي ويطلق عليه الطب العشبي.

الفلك والتنجيم والفلسفة: حيث يعتبر علم الفلك من جملة العلوم التي تستهوي النفوس البشرية، وتثير فيها حب الاستطلاع للغموض، وما يرتبط بذلك من محاولات اكتشاف غموض الكون والطبيعة، وقد كان الخلفاء وسلاطين الإسلام في العصور الوسطى لا يقدمون على خوض غمار الحروب أو حتى على الشروع في تأسيس مدينة دون الرجوع الى أراء المنجمين لتعين الأوقات السعيدة، التي تتحقق فيها الانتصارات، أو البنيان وفقاً لحسابات علم التنجيم، كما كان علماء الدين يولون دراسة الفلك عناية خاصة لاسيما على علم الميقات منه لتعيين مواقيت الصلاة، والصيام والحج، وكان للتنجيم منزلة رفيعة في عهد المرابطين، إذ كان رئيس مجلس علماء المرابطين في عصر علي بن يوسف ينظر الى النجوم[3]، كما نبع في عصر المرابطين عدد من علماء الفلك المتخصصين في التنجيم، مثل أبو العباس أحمد بن يوسف التنوفي الذي يعرف بابن الكماد، ومن مؤلفاته كتاب " الفيس

[1]– عبد الله علي علامن المرجع السابق، ص 355.

[2]– المغري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ص 169، 170.

[3]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 469.

والمستنبط على ارصاد ابي اسحاق الطيطلي، المعروف بالزرقالة[1]، وأبو الخسناعي بن خلف الأموي بكتابه " اللؤلؤ المنظم في معرفة الأوقات بالنجوم[2]، وأبو الحسن موفق مولى يوسف بن ابراهيم المعروف بالمسناي، ومن مؤلفاته كتاب " الإهداء بمصابيح السماء"[3].

وكان المهدي بن تومرت من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره، وقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي ليعلمه، واشتغل الخليفة يعقوب المنصور، حفيد عبد المؤمن بالتنجيم، ووضع أبراج فلكية عن كسوف الشمس، وأمر بإقامة برج عالاً بجامع اشبيلية الأعظم لرصد النجوم، فكان أول مرصد فيها في أوربا[4].

ولقد بلغت الفلسفة اوجها على يد ابن رشد وطلبته، فبعضهم كان من المغرب الأوسط، ومن أشهر الكتب والمؤلفات الرسالة لابن أبي رشد والمستصفي واحياء علوم الدين للغزالي، ويرجع الفضل في نشر فلسفة أرسطو وشرحها الى الخليفة الموحدي أبي يعقوب[5]، ومن أشهر فلاسفة المغرب الاوسط الصغير المسيلي الذي شبه الغزالي[6]، ابن طفيل، محمد بن سحنون الكومي طبيبا و فيلسوفا[7]، وقد تالق نجم الفلسفة في سماء الدولة المرابطية و يكفي هذا العصر فخرا ظهور المفكر العظيم و الفيلسوف ابي بكر بن يحي بن الصائغ المشهور بابن باجة الذي استطاع ان يحضى بثقة حكام المرابطين[8] في فاس وقد الف ابن باجة في شتى علوم الحكمة و فروعها، اذ بلغت مؤلفاته قرابة 25 كتابا[9] وقد تجاوز اثر ابن باجة

---

[1]– ابن الأبار، التكملة، ص 29.

[2]– نفسه، ص 263، 264.

[3]– ابن الأبار، المعجم، ص 205.

[4]– عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة العلمية، ط1، القاهرة، ص 116.

[5]– عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 365.

[6] محمد الطمار، المرجع السابق، ص 166.

[7] عبد الله علام، المرجع السابق ،ص370.

[8] المراكشي، المصدر السابق ص 185.

[9] العيدروس محمد حسن ، المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الكتاب الحديث ط1 ،2009 ، ص535.

الاندالس و العالم الاسلامي ليؤثر في الكتاب و الفلاسفة الاروبيين في اواخر العصور الوسطى مثل البرتو ماغنور باكو، وريموند لوليو وغيرهم [1].

ويبرز في ميدان الرياضيات اكثر في دور بجاية الحضاري و الثقافي و مدى تأثيره على جنوب اوروبا و إيطاليا بالذات، فقد خطى المسلمون خطوات هامة في علوم الحساب و الهندسة و الجبر و المكانيكا وكان لدراسات الرياضية الفلكية الاسلامية[2] حساب المثلثات اثرها العميق في الدراسات الغربية مثال كيلر و روجر باكون و من العلماء المشاهير البرو توماجنو و ليونارد فيبو نوتشي وغيرهم[3]

[1] العيدروس،نفس المرجع، ص 536.

[2] محمد عبد الله عنان، ازدهار الحضارة و الفكر الاسلاميين في الغرب الاسلامي و دورهما في تغذية النهضة العلمية و الحضارية، ص196.

[3] يحي بوعزيز، الموجز في تلخيص اخبار الجزائر، ج1،المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 163.

خـــاتـــمة

خـــــــــــــاتمة:

إن العلاقات والروابط الثقافية بين المغرب والمشرق بصفة عامة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية هي قديمة، بدأت مع استكمال فتح المسلمين لبلاد المغرب الإسلامي، والشروع في فتح بلاد الأندلس وقد عرفت تلك العلاقات عبر مختلف العهود التي مر بها القطرين قوة وضعفاً بحسب الظروف والأوضاع السياسية لكل عهد وقد عرفت تلك العلاقات أوج ازدهارها في عهد المرابطين والموحدين بسبب الوحدة السياسية التي عرفها القطران تحت سلطة واحدة .

وبعد ما تم إنجاز هذه المذكرة وقفنا على بعض النتائج المهمة في البحث والنقاط ويمكن تلخيصها في ما يلي:

تميزت الحياة الثقافية في عصر المرابطين و الموحدين بالتنوع و الشمولية و الازدهار و الانفتاح على دول المشرق الإسلامي في الشام و العراق و مصر، و أهم العوامل التي ساهمت في هذا التطور هو تحسن الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية حيث أعاد المرابطون الأمن و الاستقرار و حدوا من الهجمات الصليبية على بلاد المغرب و الأندلس، كما تمكنوا من توحيد العدوتين تحت سلطة واحدة رغم اختلاف التركيبة الاجتماعية المرابطية، عرقيا و دينيا و لغويا، فإلى جانب البربر و العرب، عاشت أقليات من الروم و الصقالبة و اليهود و النصارى على عكس ما نتاقله المستشرقون حول اضطهاد هذه الجماعات إلا أن الدولة المرابطية فرضت على الوافدين إجراءات تتماشى و مصالح البلد و أمنها دون المساس بهم.

كما عمل ولاة الأمور على تشجيع العلم و العلماء، فقد نشأ يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين و عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين في مهاد دعوتين دينيتين و تتلمذا

على يد عالمين: ابن ياسين و ابن تومرت و من جاء بعدهم من الولاة نهلوا العلوم الدينية و قربوا إليهم رجال الدين و الأدب و نادوا بالحرية الفكرية.

كما ساهمت الرحلات المتبادلة في توثيق الصلة بين بلاد المغرب و المشرق و الأندلس، و تناقل العلوم والأدب، و قد اتخذ ولاة المرابطين من علماء المشرق وزراء و كتاب و قضاة و كذلك الأمر في بلاد المشرق فقد حظي علماء المغرب بمكانة مرموقة في بلاد الشام و العراق و الأندلس.

و من أهم العوامل التي ساعدت على نقل العلوم و ازدهار عصر المرابطين هو رغبة أبناء المغرب في طلب العلم حيث أنشأ الخليفة عبد المؤمن مدرسة خاصة لتخريج طائفة من الاداريين يتمدرس فيها أكثر من ثلاثة آلاف من أبناء القبائل المختلفة. و من أهم الطلبة نذكر ابن ياسين داعية المرابطين الذي أمضى سبع سنوات في الأندلس، و كذلك داعية الموحدين ابن تومرت و رحلاته إلى المشرق التي أثمرت ثورته الفكرية و العسكرية.

و قد ساعدت هذه العوامل على نقل العلوم و تطوير مظاهر الحياة الاقتصادية و خاصة في التجارة فقد سكت دولة المرابطين عملتها و أنعشت أسواقها فكانت حركة دائمة و تنوعت الأسواق في الرباط و مراكش و تلمسان و الإسكندرية و الحجاز دون قيود.

ثم إن المغرب انفتح على حضارة المشرق فظهرت فلسفة العمران و الزخارف الإسلامية في المساجد و القصور و إنشاء الفنادق و الحمامات، و شاعت ثقافة اللباس عند الملوك و العلماء في المغرب و الأمر سيان في بلاد المشرق فكان تبادل الثقافات واضحا من خلال مظاهر الحياة في المنطقتين.

و في الجانب المعرفي فقد تنوعت العلوم و المعارف في بلاد المغرب و استطاعوا أن ينقلوا نقلا سليما غير مقلد من نظرائهم المشارقة، علوم الدين و اللغة و الأدب و نافسوا علماء المشرق فنجد القاضي عياض أشهر علماء و أئمة الحديث و علوم النحو و اللغة، و اتسعت

العلوم من الطب و الرياضيات و علوم القراءات و الحديث لتشمل مجالات جديدة منها الفلسفة و علوم الكلام و الجغرافيا.

و انطلاقا من دراسة النشاط الفكري الثقافي المغربي وعلاقته بالمشرق يظهر جليا أنه كان عصراً باهراً بنوره ناضجاً في ثقافته، متشبعا بالحضارة الإسلامية مزدهراً في معارفه، برز من رقعته الجغرافية أعلام ساهموا في حقول المعرفة الإنسانية.

وقد تبين المستشرقين في حق المغاربة ووصفهم لعصر المرابطين بأنه مظلم و حضارتهم لا تزيد عن مستوى الرعاة والصيادين، فقد كان إجحافا و إنقاصا في نقل المعلومات، لأن الواقع يؤكد أنهم من الأمم التي أخذت بنظام الشورى في الحكم و أنشأوا مدناً ذات تخطيط وعمران محكم وتظهر روعتها من خلال وصف الرحالة والجغرافيين لها في المصادر، وقد جاء الفاتحون المسلمون حاملين سيف الفتح ولغة الإسلام، ويتبعون القرآن والسنة، ودخل المغرب على ثقافة جديدة غيرت وجع الإقليم، وتحول الوجود المشرقي في المغرب الى قاعدة فكرية ثقافية ، بالإضافة إلى ما جاء به العلماء المشارقة إلى المغرب من علم شمل جميع الميادين النقلية والعقلية، وهذا ما نتج عنه تنوع فكري مما أثمر مجتمع تمازجت فيه الثقافة المشرقية مع الثقافة المغربية.

إن موضوع العلاقات الثقافية لا يقتصر على دراسة العلوم الفكرية بل يمتد ليشمل جوانب الحياة الأخرى، فنتمنى أن يحظى الجانب الثقافي بدراسات معمقة، و ذلك لتبيين أهمية العصر في تاريخ المغرب العربي و الإسلامي و أثره في نقل العلوم لما والاه من الأمم، بالإضافة إلى توضيح اللبس في الأقاويل الأجنبية التي تدّعي أن هذه الفترة لم تكن مهتمة بالجانب الفكري و العلمي.

مانقله ابن ابي زرع عن قول ابي حامد الكاتب :

قوم لهم شرف العلا من حمير****واذ انتموا صنهاجة فهم

لما حووا احراز كل فضيلة **** غلب الحياء عليه فتلثموا[1]

الملحق رقم (01)

[1]-ابن أبي زرع، المصدرالسابق، ص161

مانقله ابن ابي زرع عن ابي فارس بن عبد العزيز الملزوزي الشاعر -رحمه الله- في ارجوزته في التاريخ المسماة بنظم السلك في الانبياء والخلفاء والملوك :

مرابطون اصلهم من حمير **** قد بعدت انسابهم عن مضر

وان صنهاج سليل حمير **** وهو ابنه لصلبه لا العنصر

اكرم به من نسب صريح **** فقله لاتخفه بالتصريح

عد لهم فظلهم مشهور **** ومجدهم وسعدهم مذكور [1]

الملحق رقم: (02)

[1]-ابو العباس احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ص159

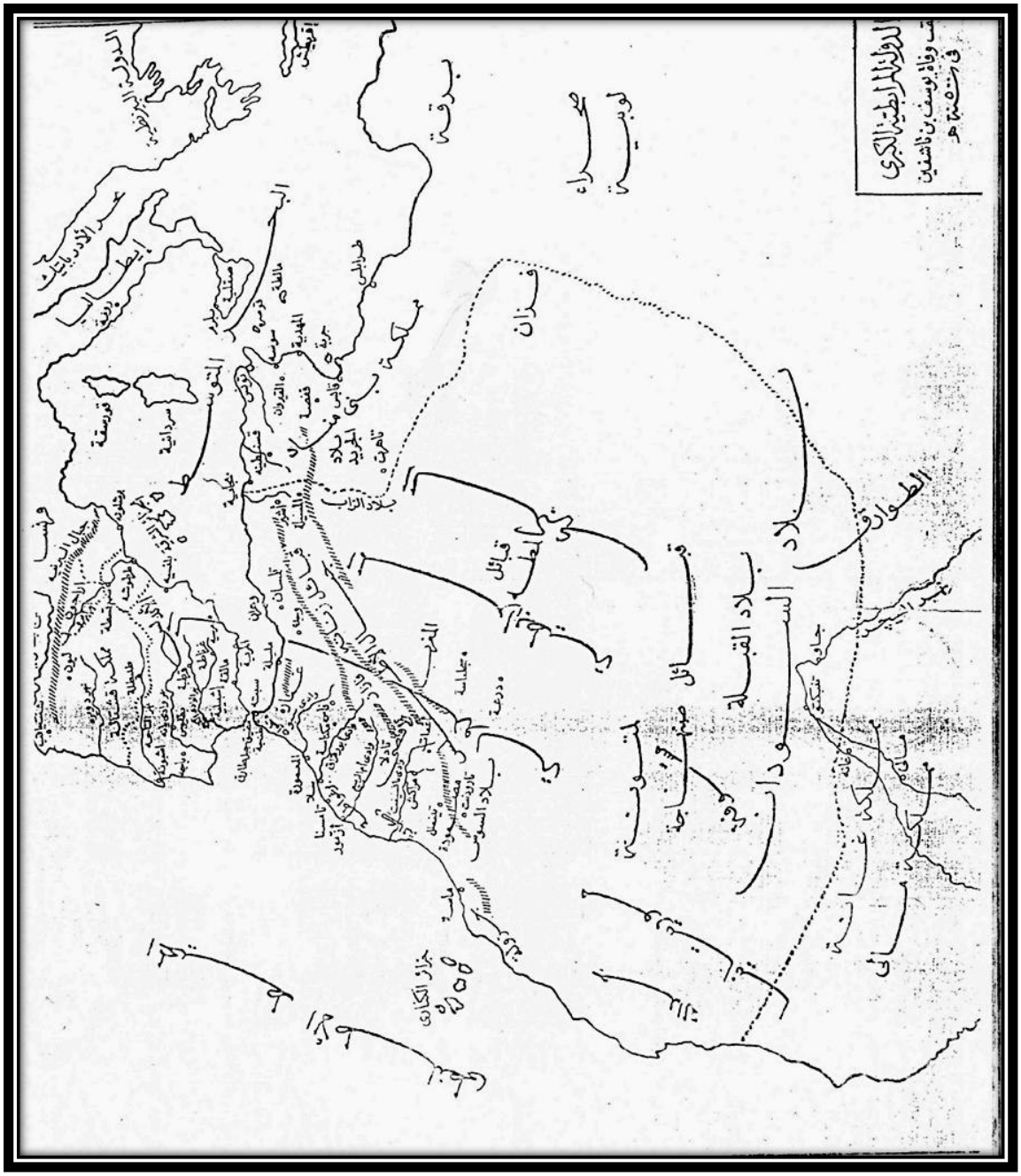

الملحق رقم (03): الدولة المرابطية عقب يوسف بن تاشفين سنة 500ه (عن عنان محمد عبد الله)

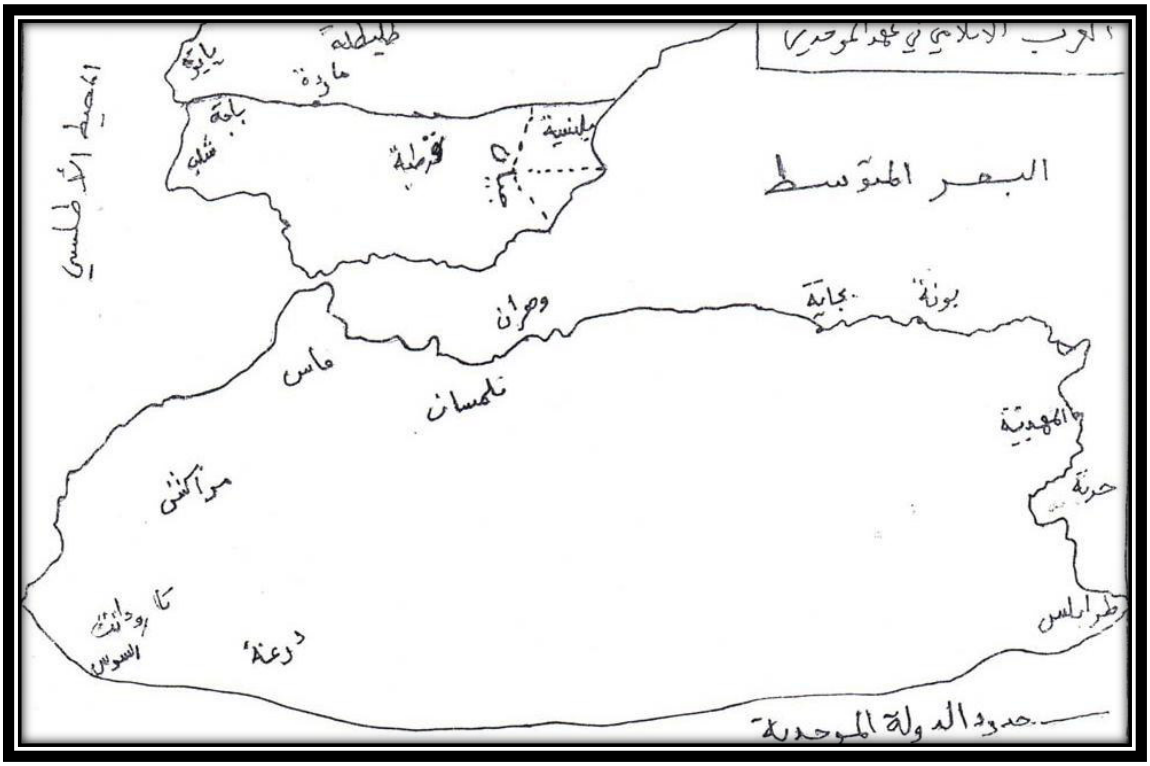

الملحق رقم (04): المغرب الإسلامي في عهد الموحدين (عن نوارة شرقي)

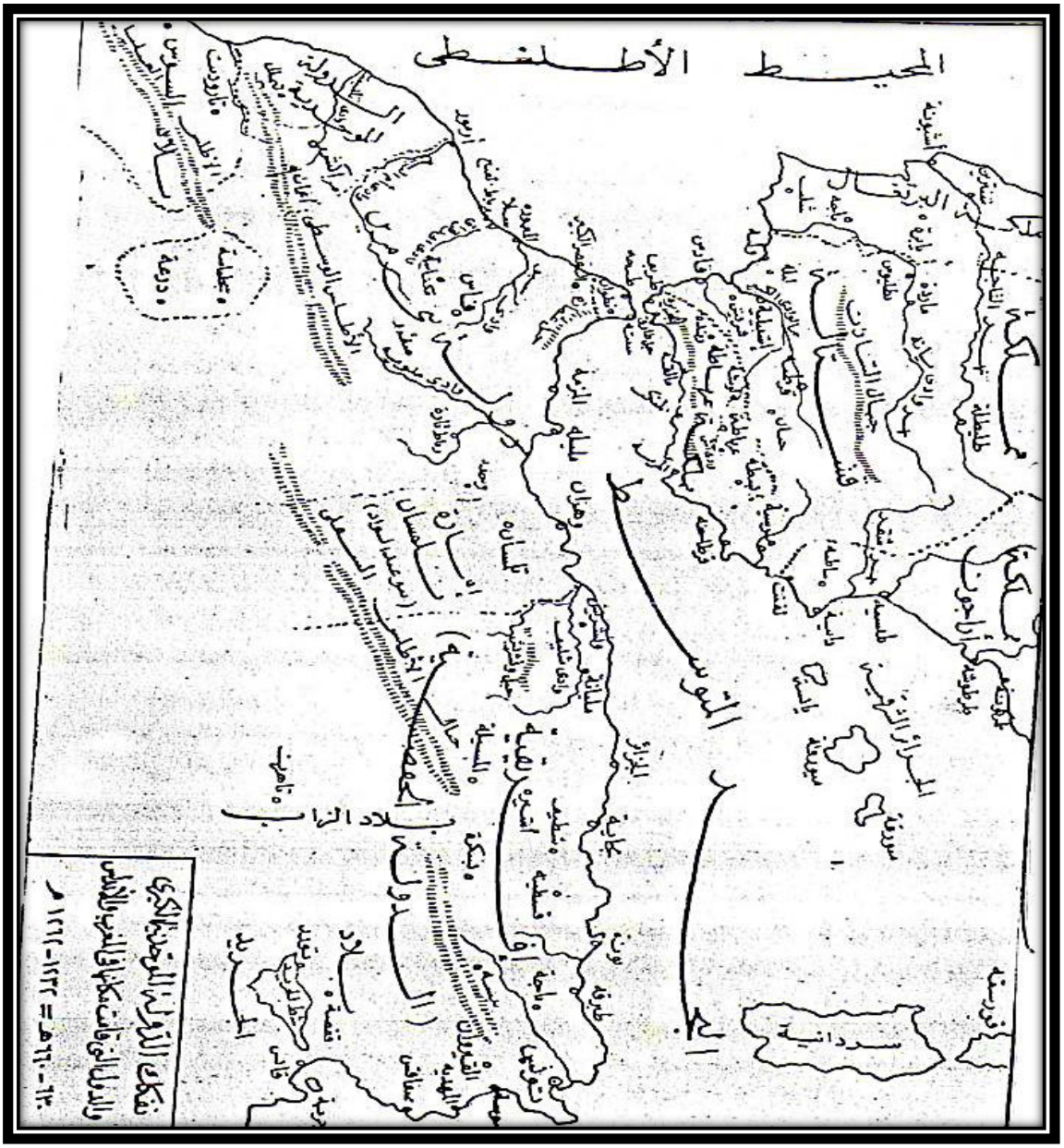

الملحق رقم (05): تفكك الدولة الموحدية (عن نوارة شرقي)

الأعلام:

إبن الجوزي :71

إبن الصغير المسيلي :83

إبن العربي :38-72

إبن القصير :21

إبن تومرت ك34-35-36-38-39-40-50

إبن خاقان :16-22-78

إبن دحبة السبتي :36

إبن صاحب الصلات :57

إبن طفيل :83

إبن فرحون :17

أبو بكر بن عمر :12

أبو حامد الغزالي ك35

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني :16

أبي الفضل عياض :16

احمد بن عبد السلام الجراوي :37

أحمد بن يحي بن أحمد بت عميرة الضبي :16

ألفونسو :14-15

الحسن الأنصاري :57

الداودي :19

الرشاطي :73

عبد الله بن ياسين :11-12

عبد الواحد بن علي النمسي المراكشي :38

محمد غبن سحنون :73-83

المنصور الموحدي :36-37-38-42

نافع بن نعيم :18

الونشريسي :41

يحي بن إبراهيم :11-12

يوسف الورجلاني :79

يوسف بن تاشفين :12-13-14-26-30-41

يوسف بن عبد المؤمن :36-37-38-40-42-70

المدن :

الأندلس :12-14-15-17-19-29-34-41

إيبيريا :10

بجاية :42-43-61-62-79-81

برغواطة ك10-11-12

بونة :42

تلمسان :13-40-41-65-79

جدالة :10

جزولة ك11-12

درعة :12-34

سبة :14-20-24-34-37-42

سلا :41-42

سلجماسة :11-27-40-42

سوسة :42

صفاقص :42

صنهاجة :11

غرناطة :24-25-37-34

فاس :12-37-41-60-75-83

قابس :42

قسنطينة :42

قفصة :42

لمتونة :10-12

ماسة :12

مراكش :20-22-28-30-34-38-40-41-79-81

المغرب :12-13-17-19-22-25-28-33-49-52

المغرب الأقصى :10-11-13-41-74

المغرب الأوسط :10-11-13-18-41-59-61-62-74-75-79

مكناسة :40-41-42

قائمة المصادر:

ابن أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، نشر كاتبة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار**، تونس، 1963م.

ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقيا و نوتس** ، الطبعة الثالثة، نحقيق محمد شام، المكنبة العتيقة، تونس، 1929م.

ابن أبي زرع علي بن عبد الله بن محمد، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.

ابن ابي زميتي: **كتاب قدوة الغاوي** ، تحقيق عائشة السليماني، دال الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م.

ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة** ، الجزء الثاني، طبع بمكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة 1956م.

ابن الأثير الجزري: **الكامل في التاريخ** ، تصحيح محمود الدقاق، مج 5، الطبعة 3، دار الكتاب العلمية،بيروت، لبنان، 1418 هـ/ 1998م.

ابن الجزري الحافظ ابن الخيرمحمد بن محمد الدمشقي: **النشر في القراءات العشرة** ، مراجعة علي محمد الصباغ، الجزء الأول، مطبعة مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ.

ابن الخطيب: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلال من ملزك الإسلام و ما يجر ذلك من شيوخ الكلام**، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد الكتاني. نشر و توزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م.

ابن العربي: **العواصم من القواصم** في تحقيق موقف الصحابة، تحقيق محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1979 م.

ابن العربي: **عتفاء المغرب في ختم الأولياء و شمس المغرب**، مطبعة العلم، دمشق، 1970م.

ابن القاضي بياض: **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، الجزء الأول، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب 1973م.

ابن القطان الفاسي: **أحكام النظر بحاسة البصر**، تحقيق ادريس الصمدي، تقديم فاروق حمادة، الشركة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996م.

ابن القطان المراكشي : **نظم الجمان في أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

ابن الوردي زين الدين بن عمر بن مظفر: **تاريخ من الوردي**، ج1، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م.

ابن بسام أبوالحسن علي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1998م.

ابن خلدون عبد الرحمان: **الخبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م.

ابن خلدون: **المقدمة**، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1968م.

ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان و أنباء أهل الزمان** ، الجزء الثاني، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان،1977م.

ابن رضوان أبو القاسم بن رضوان المالقي: **الشهب اللامعة في السياسة النافعة** ، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1984م.

ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المغرب** ، دراسة و تحقيق مأمون بن محي الدين الحنان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1996م.

ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسة في مبادئ الدولة الحفصية** ، تحقيق محمد التشادي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1986م.

أبو الفداء اسماعيل علي: **المختصر في أخبار البشر** ، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

الأدربي أبو عبيد الله الشريف: **القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق** ، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

الإدريسي أبو عبيد الله الشريف: **القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق و تقديم و تعليق إسماعيل العربي، ديزان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

الإدريسي : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، الجزء الأول، تحقيق حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر** ، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء الأول، الطبقة الأولى، لبنان، 1990م.

البسكري أبو عبيد الله (487هـ – 1901): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** ، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1957.

البكري المعدفي محمد بن أبي السرور: **الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة** ، تحقيق ليلى الصباغ، القاهرة، 1983م.

البلنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القضائي: **التكملة لكتاب العلة** ، الجزء الأول، مطبعة السعادة، القاهرة، 1965م.

بن دحية الكلبي أبو الخطاب بن محمد: **المطرب من أشعار أهل المغرب** ، تحقيق إبراهيم الأبياري، مراجعة طه حسين، دار العلم للملايين، القاهرة، 1955م.

البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي: **كتاب أخبار المهدي بن تومرت** ، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974م.

التنبكتي أحمد بابا: **نيا الابتهاج بتطوير الديباج**، الطبعة الأولى، مطبعة النعارف، القاهرة، 1923م.

الجيلاني:**رسالة في ذكر منأسس مدينة فاس** ,مخطوط مصور عن دار الكتب المغربية رقم 9832,سنة 1951.

الحافظ الذهبي: **العبر في خبر من عبر**، تحقيق أبو محمد السعيد بن بلسيوتي زغلول، دار الكتب العلمية، بيرون، لبنان، 1960م.

الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد العظيم: **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تقيق احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله: **الحلل في نظم الدول و الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

الدباغ: **معالم الأديان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق أبو النور، محمد مضوي، تصحيح و تعليق ابراهيم شيوخ، الطبعة الثانية، نشر المكتبة العتيقة، تونس، 1993م.

الزركشي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم: **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تحقيق و تعليق محمد ماظور، المكتبة العتيقة، تونس، بدون تاريخ الطبع.

السيلاوي أحمد خالد الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق أحمد الناصري، ج2، منشورات وزارة الثقافة و الإتصال، الدار البيضاء، 2001م.

الصفدي: **الوافي بالوفيات**، إعتناء محمد يوسف نجم، مطابع دار صادر ، بيروت، 1972م.

الضبي أحمد بن يحي بن عميرة: **بغية الملتمس**، تصحيح و تحقيق محمد بن تادنيت الطنجي، نشر السيد عزة العطار، القاهرة، 1952م.

عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي: **الغنية**، دراسة و تحقيق محمد بن عبد المريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978م.

عياض أبو الفضل عياض: **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، دار الحياة، بيروت، لبنان، 1967م.

القضاعي أبو بكر ابن عبد الله محمد بن عبد الله: **الحلة السيراء و التكملة لكتاب العلة**، تحقيق ليغي بروفنسال، دار المكشوف، الطبعة الثانية، بيروت، 1956م.

القلقشلندي: **مأثر الأناقة في معالم الخلافة**، نحقيق عبد الستار أحمد فرج، الطبعة الثانية، الكويت، 1985م.

مجهول: **الحلل الموشية في ذاكرة الأخبار المراكشية** ، تحقيق سهيل ذكار وعبد القادر زماطة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

المراكشي ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري: **الذيل و التكملة لكتابي الموصول والعلة**، تحقيق محمد بن شريفة، الجزء الأول القسم الثاني، دار الثقافة، لبنان، بدون تاريخ.

ابن القطان المراكشي ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تحقيق محمد مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

المراكشي ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق إحسان عباس، ج3، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.

المراكشي عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق محمد السعيد العريان، الطبعة الاولى، مطبعة الإستقامة، القاهرة1949م.

المغيلي محمد بن عبد الكريم: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** ، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968م.

المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

المهدي ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، مطبعة بير بونكانا، الجزائر، 1951م.

الوهراني عبد العزيز: **منامات الوهراني**، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968م.

قائمة المراجع:

ابن خلدون الغزالي: **آداب المتعلمين و رسائل أخرى في التربية الإسلامية** ، جمع و نشر حسن شربتلي، دار الفتح للطباعة و النشر، القاهرة، دون تاريخ الطبع.

أرزقي فواند محمد، **القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف** , القرن الخامس هجري الموافق للحاذدي عشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، بدون تاريخ.

أشياخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ، الترجمة العربية، القاهرة، 1958م.

الحرفي سلامة محمد سلمان: أ- **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين, دراسة سياسية و حضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان 1985م.

ب -**النبوغ المغربي في الأدب العربي** ، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005م.

باجة مصطفى: **أبو يعقوب الورجلاني و فكره الأصولي** ، مقابلتة بأبي جامد الغزالي، وزارة التراث القةمي و الثقافة، سلطتة عمان، 1995م.

البشير صفر: **الجغرافيا عند العرب, نشأتها و تطورها** ، تقديم و تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

بن تاوين محمد: **الأدب المغربي**، الطبعة الثانية، بيروت، 1969م.

بن حسن محمد: **القبائل و الأرياف في العصر الوسيط** , فراءة جديدة للتاريخ العربي، دار الروح الأربعة، تونس، 1980م.

بن دادة محمد: **مفهوم الملك في المغرب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 198م.

بوتشيش أبراهيم القادري: أ- **الإسلام و السير في بلاد المغرب العربي**، سيناء للمشر، القاهرة، 1995م.

ب- **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، أفريل 1993

بوروبة رشيد: **ابن تومرت**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1991م.

بيضون إبراهيم: **الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار النهصة العربية، بيروت، 1980م.

الجراري: **وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**، الدار البيضاء، المغرب، 1967م.

الجيلاني عبد الرحمن ممحمد: **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1965م.

حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي المتب و الفنون**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، طبعة وكالة المعرفة العلمية، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1942م.

حركات ابراهيم: **لمغرب غبر التاريخ**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984م.

خفاجة محمد عبد المنعم: **فصة الأدب في الأندلس**، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 1962م.

ديلاسي أوليري: **الفكر العربيو مكانته في التاريخ**، ترجمة تمام حسان، مراجعة محمد مصطفى حلمي، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1997م.

زكي الإدريسي: **الإمامة عند ابن تومرت**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

ساعد خميس: **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، دار الهدى، عين ميلة، 2001م.

سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين** ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 1985م.

سليم الحلو: **الموشحات الأندلسية, نشأتها و تطورها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير في العصر الإسلامي** ، دار النهضة العربية، بيروت،1981م.

العيدروس: **المغرب العربي في الصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، طبعة 2009م.

العلابي علي محمد: دار البيقان، عمان، الأردن 1971م.

علام عبد الله: **الد عوة الموحدية بالمغرب** ، الطبعة الأولى، دار المعارف، المغرب، 1964م.

عنان عبد الله : أ – **عصر المرابطين و الموحدين بالمغرب و الأندلس** ، الجزء الأول، القاهرة، 1964م.

ب– **عصر المرابطين و الموحدين بالمغرب و الأندلس** ، الجزء الثاني، القاهرة، 1954م.

الفيو يمي محمد إبراهيم: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس** ، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987م.

القبيلي محمد: **مراجعات حول الثقافة بالمغرب في الغصر الوسيط**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1967م.

كنون عبد الله:- **أمراؤنا الشعراء**، تطوان، المملكة النغربية، الطبعة الثانية، 1950م.

محمد الربيع سعيد: **فضائل دمشق و الشام** ، مطبوعات المجنمع العلمي العربي، دمشق، 1950م.

محمود حسن احمد: **قيام جولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م.

مخلد النغيمي: **موسوعة المغرب العربي**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي،القاهرة، 1980م.

ملين: **عصر المنصور الموحدي**، مطبعة الشمال الإفريقي، تونس،1996م.

المنجد صلاح الدين: **المشرق في نظر المغاربة**، بيروت 1963م.

المنوني: **العلوم و الفنون و الأدب في عهد الموحدين**، تطوان، 1950م.

مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، الطبعة الأولى، القاهرة، 1980م.

النجار عبد الحميد: **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** ، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

باللغة الفرنسية:

Abd Allah Laraoui : **L'histoire du maghreb**, un essai de Sneghése, casablanca, Maroc, 1995.

Charol Andrée JulienM : **Histoire de l'afrique du nord (des ou gimesa 1930)** , edition payot a rivages, Paris, 1994.

Plusieurs ecrivains : **L'histoire de Mandes de moyen age**, imprimerie grafice, editionale, Italie, 1997.

مقالات :

عصمت دندش: **الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا, السودان في عهد المرابطين** ، مجلة الدعوة إلى الحق، العدد 158، 1986م.

حسين أمين: **دولة الموحدين**,مجلة المؤرخ العربي العدد 13, 1980,بغداد,العراق.

صباح الشيخلي: **حقائق جديدة عن الحركة المرابطية** ,مجلة المؤرخ العربي,العدد 27, 1985,بغداد,العراق.

الفـــــــــــهـــــــــــرس:

إهداء

شكر

مقدمة.....أ

الفصل الأول: العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب إبان الدولة المرابطية.....12

المبحث الأول : قيام الدولة المرابطية.....12

المبحث الثاني : الحياة الثقافية المرابطية.....18

المبحث الثالث : العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب زمن المرابطين.....28

الفصل الثاني : العلاقات الثقافية زمن الموحدين.....36

المبحث الأول : قيام الدولة الموحدين.....36

المبحث الثاني : الحياة الثقافية للموحدين.....41

المبحث الثالث : العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب زمن الموحدين.....47

الفصل الثالث : دور الرحلات العلمية بين المشرق و المغرب في التبادل الثقافي: 57

المبحث الأول : أثر الرحلات المغربية الى المشرق.....57

المبحث الثاني : دور العلماء المشارقة و المغاربة الذين تنقل الي العدوتين 61

المبحث الثالث : دور الكتاب و العلماء الموسوعيين في العلاقة بين المشرق و المغرب.....65

الفصل الرابع : أهم العلوم العقلية و النقلية التي ظهرت في الدولة المرابطية و الموحدية.....71

المبحث الأول : العلوم العقلية 71

المبحث الثاني : العلوم النقلية 79

خاتمة:.....87

قائمة الملاحق:.....92

فهرس الأماكن:.....97

فهرس الأعلام:.....99

قائمة المصادر و المراجع.....101

الفهرس العام:.....112